

عِشْ سَعِيدًا

من مشروع نظرية النشأة الإسلامية

♦ التدبر والعيش اليومي ♦

عباس آل حميد

عِشْ سَعِيدًا



من مشروع نظرية النشأة الإسلامية



عِشْ سَعِيدًا

تأملات في آيات قرآنية

عباس آل حميد

إعادة إصدار منقحة ضمن المشروع — ٢٠٢٦

مشروع نظرية النشأة الإسلامية

حقوق النشر والبيانات

حقوق النشر والملكية الفكرية محفوظة لعباس علي محمود، المعروف أدبياً باسم عباس آل حميد © ٢٠٢٦.

يُسمح بالاعتباس الموجز لأغراض البحث والمراجعة والتعليم، مع إثبات اسم المؤلف وعنوان الكتاب والمصدر. ويُسمح بتداول النسخة الإلكترونية الرسمية الكاملة غير المعدلة لأغراض غير تجارية وفق سياسة الإتاحة المبينة أدناه. ولا يجوز تعديل الكتاب أو اختصاره أو ترجمته أو دمجها في إصدار آخر أو استغلاله تجارياً، كلياً أو جزئياً، من دون إذن مكتوب.

صفة الإصدار	إعادة إصدار منقحة ضمن مشروع نظرية النشأة الإسلامية، ٢٠٢٦، اعتماداً على النسخة الرقمية الثانية — فبراير ٢٠٢١.
سنة ومكان النشر	٢٠٢٦ — مسقط، سلطنة عُمان
البصمة الناشرة	مشروع نظرية النشأة الإسلامية
المكتبة الإلكترونية	https://abbasalhumaid.com/library/
التصويبات والملاحظات	عبر صفحة المكتبة أو نموذج التواصل في الموقع الرسمي

للاستشهاد بهذا الكتاب

آل حميد، عباس. عَشْ سَعِيداً: تأملات في آيات قرآنية. إعادة إصدار منقحة ضمن مشروع نظرية النشأة الإسلامية. مسقط، سلطنة عُمان: مشروع نظرية النشأة الإسلامية، ٢٠٢٦.

من مشروع نظرية النشأة الإسلامية

نظرية النشأة الإسلامية مشروع فكري تفسيري داخل الرؤية الإسلامية، يدرس تكون الإنسان وحركته الوجودية ونموه وسلوكه ورسالته. وهو اجتهاد بشري لا يساوي الإسلام نفسه، ولا يحل محل العقيدة أو الفقه أو التفسير أو العلوم المتخصصة. وهو ليس كتاباً واحداً، بل منظومة من ستة كتب، لكل واحد منها سؤاله ووظيفته ونبرته، ويكمل بعضها بعضاً من غير أن يكرر أحدها وظيفة الآخر.

خريطة الكتب الستة

١ «المنظومة الفكرية الإسلامية» — الأساس الرؤيوي وموضع الشرح الكوني.

٢ «نظرية النشأة الإسلامية» — المتن المرجعي الضابط، ويضم دليل القارئ والمعجم المرجعي.

٣ «الذات الخالدة» — بيت النموذج الإنساني ومساره.

٤ «لا حدود» — المنفذ الشعبي للقوانين وبيت النقد المقارن.

٥ «عِشْ سعيداً» — منفذ التدبر والمعايشة.

٦ «رحلة كادح» — منفذ التجسيد السرد.

ويضم كتاب «نظرية النشأة الإسلامية» في صدره خريطة قراءة موجزة، وفي ملحقاته معجماً مرجعياً مبسطاً، يليه دليل القارئ التفصيلي إلى المشروع وكتبه ومسارات قراءته. والمعجم والدليل جزءان من الكتاب المرجعي نفسه، وليساً مجلداً مستقلاً عنه ولا كتاباً سابعاً داخل منظومة الكتب الستة.

موقع هذا الكتاب في المشروع

يقدم «عش سعيداً» التدبر القرآني وتطبيق الرؤية في الحياة اليومية؛ إذ يربط آيات مختارة من سورتي الإسراء والكهف بأسئلة الإنسان وممارساته، ويحول الوقفة التدرجية إلى توصية عملية قابلة للمراجعة والمحاسبة.

الفهرست

١	عزیزى القارئ.....
٣	قبل أن تبدأ.....
٥	كيف تستفيد من هذا الكتاب؟.....
٧	شكر وتقدير.....
٨	سورة الإسراء.....
٥٣	وقفة مراجعة بعد سورة الإسراء.....
٥٥	سورة الكهف.....
١٠٦	وقفة مراجعة بعد سورة الكهف.....
١٠٨	حواشي المصادر والتنبيهات.....
١١٤	من أين تتابع القراءة؟.....
١١٥	رسالة المؤلف إلى القارئ.....
١١٦	إتاحة المعرفة.....
١١٧	عن المؤلف.....

عزيزي القارئ،

مع اضطراب الدنيا، وتسارع إيقاع الحياة، وتعاظم التحديات والصعوبات التي تعصف بالناس، تشتد حاجتنا إلى ما ينير الطريق، ويعيننا على السعي فيه بوعي ورجاء وطمأنينة.

وقد أنزل الله القرآن هدايةً لما فيه صلاحنا، وشفاءً لما في صدورنا، ودعوةً إلى تزكية أنفسنا. وفي نهج البلاغة عن الإمام علي (ع): «واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل... فاستشفوه من أدوائكم... واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم».

لكننا قد نقرأ القرآن ثم نمضي كأننا لم نسمعه؛ تمر كلماته على ألسنتنا ولا تمس قراتنا وعلاقاتنا. وقد نطلب ما يعيننا على تطوير حياتنا، وهو طلب نافع، ثم نغفل عن السؤال الأسبق: إلى أين نمضي، ولأي غاية نعمل؟

هذا ما دعاني إلى قراءة آيات مختارة من سورتي الإسراء والكهف بتأمل وتدبر، مستعيناً بكتب التفسير، لأستلهم ما يضيء واقع حياتنا. حاولت أن أحافظ على بساطة اللغة والقصد في المعاني، وأن تتبع كل وقفة توصية تصل الفهم بممارسة ممكنة.

لم أتناول جميع الآيات، ولم أقصد استيعاب معاني ما اخترته منها؛ فما غفلت عنه من معنى جميل إنما هو لمحدودية علمي وقصوري. وما أرجوه أن يصحبك

معنى من هذه الصفحات إلى يومك، فتراه في عملك، أو كلامك، أو علاقتك
بمن تحب.

ليست السعادة التي أدعوك إليها حياةً لا تعرف الحزن، بل حياة تعرف
وجهتها، وتمو فيها النفس في الحق والعبودية، وتجد في الإيمان ما يسند سعيها
ورجاءها، وتستعين بما أتاح الله من علم وعون. فلنقرأ على مهل، ولنجعل للآية
أثرًا يتجاوز لحظة القراءة.



قبل أن تبدأ

هذه تأملات بشرية تستضيء بالقرآن، وليست تفسيراً جامعاً ولا قولاً معصوماً. أميز فيها بين نص الآية، وما نُقل في تفسيرها، وما أستفيدة منها في حياتنا؛ وقد يحمل النص معاني أخرى لم تتناولها هذه الوقفة.

وحين أستعين بمفاهيم مشروع نظرية النشأة الإسلامية، فإنني أستعين ببناء تفسيري قابل للمراجعة، لا أقدمه بدلاً من القرآن أو التفسير أو العلوم المتخصصة. ومن أراد تفصيل المصطلحات فليرجع إلى الكتاب المرجعي للمشروع ومعجمه.

التوصيات هنا وسائل مقترحة للتدبير والعمل، وليست تكاليف شرعية جديدة. اختر منها ما يلائم علمك ووسعك وظروفك، وثبّت فيما يشكل عليك. وليس اختلاف الاستجابة الوجدانية، أو بطء التقدم، حكماً على قيمة الإنسان أو صدق إيمانه.

قد يجتمع الإيمان مع الحزن أو المرض والحاجة إلى العلاج والمساندة. والثقة بحكمة الله لا تعني أننا نعرف سر كل حادثة، ولا أن نسكت عن ظلم أو نهمل سبباً للإصلاح. نأخذ بالأسباب، ونحفظ الحقوق، ونرجو ما عند الله.

أُثبتت إichالات الآيات في مواضعها، وجمعت حواشي المصادر والتنبيهات في آخر الكتاب. والعثور على رواية في مصدرها لا يعني وحده الحكم بصحة إisنادها؛ وحين احتاج النقل إلى بيان درجته أو حدود الاستدلال به، أوضحت ذلك في الحاشية.



كيف تستفيد من هذا الكتاب؟

اقرأ على مهل. خصص لنفسك، إن تيسر، نحو عشر دقائق لقراءة آية ووقفها. لا يلزم أن تتمّ وقفة كل يوم، ولا أن تنتقل إلى التالية قبل أن يستقر لك المعنى.

اسأل: ماذا فهمت؟ سمّ المعنى الذي استوقفك، وميّز بين دلالة الآية والتطبيق المقترح. وما أشكل عليك فارجع فيه إلى تفسير موثوق أو أهل العلم.

ثم اسأل: ماذا كشف لي عن نفسي؟ لاحظ عادةً أو ميلاً أو موضع صدق أو تقصير، دون تبرير أو قسوة. و«وقفة مع النفس» سؤال اختياري للتأمل، لا امتحان ولا مقياس للإيمان.

واختر: ماذا سأفعل؟ ابدأ بخطوة واحدة واضحة في وسعك. لا تجمع توصيات الكتاب كلها في قائمة يومية تثقلك؛ يكفي أن يترجم معنى واحد إلى فعل أصدق في حياتك.

راجع برفق وصدق. اسأل في نهاية يومك: ماذا فعلت؟ وما الذي أعاني أو عاقني؟ وما الذي يحتاج إلى تعديل؟ ويمكن استخدام علامة إنجاز للفعل المحدد، لا للحكم على نفسك. وما لم تنح لك فرصته فلا تعدّه إخفاقاً.

توقف لترى المسار. ارجع من حين إلى آخر إلى ما اخترته، واستعن بوقفتي المراجعة بعد السورتين. اشكر ما تحقق، وأصلح ما يحتاج إلى إصلاح، وعدّل الخطوة عند تغير ظروفك. المقصود الوفاء للحق، لا ملء الخانات.

عباس آل حميد



شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى ابني محمد، الذي ألهمني مناقشاته معي فكرة هذا الكتاب، ونبهتني إلى أهمية العودة إلى القرآن طلباً لهديه، وربط معانيه بواقع حياتنا وسعيننا إلى الصلاح والطمأنينة. ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ (الإسراء: ١٠٥).

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ علي أحمد محمد، الذي راجع الكتاب لغوياً.





سورة الإسراء

عِشْ سَعِيدًا

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾

(الإسراء: ١)

في سياق بيان رفعة نبينا محمد (ص)، وصفه الله بالعبودية له جل جلاله. وفي هذا ما يدعونا إلى إدراك أن العبودية لله ليست خطأ من قدر الإنسان، بل غاية يرتقي إليها بالمعرفة والمحبة والطاعة. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

نحن مفتقرون إلى الله في أصل وجودنا، أما عبوديتنا الواعية فتظهر حين نعرفه ونقصده ونستجيب له؛ فلا يكفي أن نكون مخلوقين لله حتى نكون قد وفينا حق عبادته.



التوصية

تواضع لله، واجعل رضاه غاية حياتك، لا وسيلة إلى شعور مريح فحسب. فإذا ثبت لك أمره فاستجب له، ولو لم تُخطِّ بحكمته؛ مع التثبت مما يُنسب إلى الدين، والسؤال عما أشكل عليك. فالخضوع لله لا يعني تعطيل العقل أو التسليم لكل قول يُقال باسمه.

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى
لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾

(الإسراء: ٢)

إن الإيمان بالله هدف رسالات الأنبياء جميعاً، ومن مقتضياته التوكل عليه،
وَألا نجعل اعتماد قلوبنا المطلق على أحد من دونه.

إن التوكل لا يعني ترك الأسباب أو الجهد والتخطيط؛ بل يساند السعي ويسند
القلب في مواجهة الخوف والتوتر. نستعمل الأسباب ونعرف حدودها، ونثق
بالله من غير أن نجعل تحقق رغباتنا شرطاً لهذه الثقة.



التوصية

خطط لما تريد، وابذل ما تستطيع، واطلب العون ممن يستطيع مساعدتك،
وأنت مستعين بالله في ذلك كله. وإذا ضاقت بك السبل، فلا تجعل
الخسارة دليلاً على تخليه عنك؛ فهو الذي ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾
(الأنعام: ١٢). راجع خطتك، وأبقِ باب الرجاء مفتوحاً.

وقفة مع النفس

ما السبب الذي أستطيع الأخذ به الآن، وما النتيجة التي أتعب نفسي
بمحاولة ضمانها؟

﴿ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾

(الإسراء: ٣)

تذكر الآية نوحاً (ع) وتصفه بأنه كان عبداً شكوراً، فتدعونا إلى استحضار النعمة التي لا نستقل بإيجادها ولا ببقائها.

إن ملكية الله لنا ليست كملكيات الدنيا الاعتبارية؛ فهو خالقنا، وبه يقوم وجودنا، ومنه ما نعلم به من عطاء. وفي فطرتنا ما يدعونا إلى معرفة المنعم وشكره، لكن هذا المعنى يحتاج إلى تذكرو ووفاء، وقد تحجبه الغفلة أو الغرور.

وحيث يقترب الشكر بالمحبة، لا تبقى العبادة عبثاً تؤديه لنفرغ منه؛ بل تصبح لقاءً بمن نحب، واستجابةً لمن يستحق عبادتنا.



التوصية

استشعر الامتنان والحب لله، وتأمل نعمه في حياتك، واجعل لشكرها أثراً: احفظ نعمة، أو أحسن استخدامها، أو انفع بها غيرك. واطلب المعرفة التي تعمق محبتك له؛ فإننا نعبده لأنه ربنا المستحق للعبادة، وندرج بفضل طمأنينة القلب وحسن المآل.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾

(الإسراء: ٧)

تردّ هذه الآية الإنسان إلى مسؤوليته: فثمرة إحسانه وتبعة إساءته تعودان إليه، وإن امتد نفع العمل أو ضرره إلى غيره. فلا يجوز أن تؤذي أحداً ثم تتوهم أن أثر الأذى بقي خارجنا ولم يمس أنفسنا.^١

قد تدفعك شهوة أو عصبية أو إساءة الآخرين إلى رد سيئ، وقد تضيق مساحة اختيارك تحت وطأة الأذى. راجع ما كان في وسعك فعلاً: لا تحمل نفسك ما لم تملكه، ولا تتخذ خطأ غيرك عذراً لما كان يمكنك تجنبه من خطئك.



التوصية

راقب أعمالك، وحاسب نفسك بصدق ورفق. وحين تبين إساءة صدرت منك، فلا تكثف بالندم؛ اعتذر، وردّ الحق، وأصلح ما تستطيع إصلاحه. فالإحسان إلى نفسك لا ينفصل عن العدل مع غيرك.

وقفة مع النفس

هل اكتفيت بالأسف على خطأ، مع أن في وسعي إصلاح شيء من أثره؟

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

(الإسراء: ٩)

تسعى كتب تطوير الذات إلى مساعدة الإنسان على النجاح وتحسين حياته، وقد تتضمن معرفة نافعة وخبرات تستحق الاستفادة منها. لكن الوسيلة لا تحدد وحدها الغاية: لماذا أنجح، وبأي ثمن، ولأي حياة أعد نفسي؟

هنا تكون هداية القرآن مرجعاً للوجهة والقيم والسلوك؛ فهو لا يحصر الإنسان في إنجازه الدنيوي، وإنما يربط سعيه بعبوديته لله ومسؤوليته عن الناس ومآله إليه.



التوصية

اجعل هدى القرآن ميزاناً لغاياتك وقيمك وسلوكك، وانتفع بالمعرفة الصحيحة والخبرة الموثوقة، مع فحص ما تحملته تلك الخبرات من اقتراضات. لا ترفض علماً لمجرد اختلاف صاحبه معك في الدين، ولا تتبع فكرة لمجرد شهرتها؛ بل اسأل عن دليلها وحدودها وصلتها بالخير الذي تطلبه.

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

(الإسراء: ٩)

تجمع الآية بين الإيمان والعمل الصالح، وتفتح للمؤمن باب البشارة بالأجر الكبير. فلا يبقى الإيمان دعوى لا يظهر أثرها في الحياة، ولا يُختزل العمل في شكله الظاهر بعيداً عن القصد والوجهة.

هذه البشارة تدعونا إلى الرجاء والعمل، لا إلى الاطمئنان إلى النفس وترك مراجعتها. ومن وجد تقصيراً، فليستجب بما يستطيع من تصحيح وتوبة، لا باليأس من رحمة الله.



التوصية

احرص كل ليلة على مراجعة ما جسّدته من إيمانك في يومك، وما قدمته من عمل صالح في أسرتك أو مجتمعك أو عملك. اشكر الله على ما وفقك إليه، واختر موضعاً واحداً تستطيع أن تحسن فيه غداً.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَنُ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ عَجُولًا﴾

(الإسراء: ١١)

قد تدفع العجلة الإنسان إلى أن يدعو على نفسه أو أهله أو ماله بالشر في ساعة غضب، كما لو كان يطلب الخير؛ وهذا من المعاني التي يذكرها المفسرون هنا.^٣ ومن صور العجلة أيضًا أن نلح في طلب ما نجهل عاقبته، فنحسبه خيرًا وهو ضرر لنا. ويذكرنا القرآن بحدود علمنا: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

التوصية

ترو حين تغضب، ولا تسترسل في الدعاء على نفسك أو غيرك. وقبل قرار مهم، اكتب ما تتوقعه من نفع وضرر، واستشر أهل الخبرة حتى يصبح التروي عادة فيك. وإذا لم يتحقق ما سعت إليه، فلا تجعل خيبة رغبتك دليلًا على أن الخير قد فاتك كله. ثق بحكمة الله، وراجع الأسباب التي تعرفها، وواصل السعي؛ فقد يخفى عليك من العواقب ما لا تحيط به الآن.

وقفة مع النفس

ما القرار الذي أستعجله، وما المعلومة التي ينبغي أن أتحقق منها قبل اتخاذها؟

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ
وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾

(الإسراء: ١٢)

تلفتنا الآية إلى تعاقب الليل والنهار وإمكان ابتغاء فضل الله. وتفتح لنا باباً للتأمل في الصلة بين نظام الحياة الذي أتاح لنا السعي، والهداية التي توجه هذا السعي.

نحتاج في حياتنا إلى الأمرين معاً: أن نفهم السنن والشروط التي يجري في إطارها عملنا، وأن نهتدي إلى الحق الذي يوجهه. فالسعي يقتضي معرفة الأسباب، وحسن السعي يقتضي كذلك سلامة الوجهة.



التوصية

اجمع بين الأخذ بالأسباب والوفاء بما عرفت من هدى الله. تعلم، وخطط، وأتقن، وأرح بدنك حين يحتاج إلى الراحة؛ واجعل رضا الله نصب عينيك. وكما لا تكفي معرفة قواعد اللعبة للفوز فيها، لا يغني حسن القصد عن تعلم ما يحتاجه العمل وإحسان أدائه.

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۚ ﴿١٠١﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ
الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۚ ﴿١٠٢﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ
وَمَن ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾

(الإسراء: ١٠١-١٠٣)

ما يقع عليك من نعمة أو مصيبة له أثر حقيقي في حياتك؛ فالظلم يضر،
والفقد يؤلم، والإحسان ينفع. لكن استجابتك لما يقع، في حدود علمك
واختيارك ووسعك، تدخل كذلك في تشكيل نفسك وكتاب عملك.

لا تُسأل عن ذنب غيرك، ولا يصير وقوع الأذى عليك ذنباً لك. إنما تنظر في
المساحة التي تملكها: كيف تتعامل مع ما حدث، وكيف تدفع الضرر أو
تطلب العون أو تحفظ حقاً؟

والآخرة تكشف قيمة العمل وعاقبته؛ من غير أن يفصل الجزاء عن عدل الله
ورحمته ومغفرته.



التوصية

احرص على ما يسرك أن تقرأه في كتابك يوم القيامة. واجعل عنايتك بما
يصدر منك باعثاً على الإصلاح، لا سبباً لتهوين ما وقع عليك أو على غيرك.
فالدنيا زمن عمل جاد، وإن كانت قصيرة بالقياس إلى الحياة الآخرة.

وقف مع النفس

ما الذي وقع عليّ دون اختياري، وما الاستجابة الممكنة التي أتحمّل مسؤوليتها الآن؟

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾

(الإسراء: ١٦)

تحذر الآية من الترف حين يقترن بالفسق وإفساد الحياة. فالخلل ليس في وجود المال وحده، بل في استعمال النعمة بعيداً عن الحق، حتى تتحول سعة العيش إلى غفلة عن المسؤولية.^٤

ومن وجوه التدبر هنا أن فساد من اتسعت قدرتهم ونفوذهم قد يتجاوز أثره إلى غيرهم. لذلك لا يكون المال أو الجاه، في ذاته، برهاناً على صلاح صاحبه أو فساد؛ وإنما يُنظر إلى الأمانة والعمل وأثرهما.



التوصية

راجع كيف تستعمل ما بين يديك من مال أو صلاحية أو تأثير. وحين تسند عملاً إلى غيرك، فتثبت من كفاءته وأمانته بما يتاح لك من أدلة، لا بما يبهرك من مظهره. ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَعَجَزَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ
لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا
مَدْحُورًا﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾

(الإسراء: ١٨-١٩)

ترسم الآيتان صورتين متقابلتين: صورة طالب العاجلة الذي يجعل الدنيا غاية وجوده، وصورة من يريد الآخرة ويسعى لها سعيها وهو مؤمن، فيعيش دنياه جاعلاً رضا الله نصب عينيه.

ولا تقول الآية إن كل طالب للدنيا ينال ما يريد؛ بل تقيد العطاء بمشيئة الله. أما الساعي للآخرة فتصف سعيه بأنه مشكور: لا يضيع عند الله، ويجازيه عليه من فضله. وما أوسع رجاء الإنسان حين يعلم أن سعيه بعين من لا يضيع عنده الخير.°



التوصية

لا تجعل طلب الآخرة عذراً لترك شؤون الدنيا؛ بل اجعل الآخرة غاية توجه عملك فيها. اطلب رزقك وأتقن مهنتك وانفع الناس، من غير أن تشتري مكسباً بمعصية. واستبشر بفضل الله، مع إدراك أن سلامة الوجهة لا تعني ضمان كل نتيجة دنيوية تتمناها.

﴿كَلَّا تُمَدِّ هُوْلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ
رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾

(الإسراء: ٢٠)

يمد الله هؤلاء وهؤلاء من عطائه، فلا تختص أسباب الرزق والحياة بالمؤمن دون غيره، ولا يكشف اتساع المال وحده عن منزلة الإنسان عند الله.

لا يظن أحد أن إيمانه يعوض تقاعسه عن طلب الرزق، أو أن اختلاف غيره معه في الدين يمنعه الانتفاع بأسباب الدنيا. ومع ذلك، لا تتحقق النتائج بالجهد وحده؛ فللفرص والظروف وعمل الآخرين أثر، وليس كل حرمان شاهداً على كسل صاحبه.



التوصية

احرص على طلب فضل الله بالسعي في سننه التي تجري بها الحياة، والوفاء بما شرعه من هدى. واجعل عملك وسيلةً للتقرب إليه وعبادته، لا حركةً منفصلة عن غايتك.

ج
﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ
وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾

(الإسراء: ٢١)

تلفتنا الآية إلى تفاوت الدرجات، ثم تذكرنا بأن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً. وما نعرفه من تفاوت الدنيا لا يستوعب عظمة الحياة التي نستقبلها.

نأتي إلى الدنيا بمعطيات لم نخترها، ثم نشارك باختيارنا وأعمالنا في تشكيل ما نصير إليه. هذه المسؤولية حقيقية، لكنها لا تجعلنا مستقلين عن مدد الله، ولا تحول مصائرنا إلى نتيجة آلية منفصلة عن عدله ورحمته ومغفرته.



التوصية

لا تُضجّ بما يبقى من أجل لذة عابرة أو هرب من مشقة تستطيع احتمالها. وحين تزل، فلا تتعامل مع زلتك كأنها حكم نهائي على مآلك؛ تب إلى الله، وأصلح ما تستطيع، وواصل العمل راجياً رحمته.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾

(الإسراء: ٢٢)

تنهى الآية عن أن نجعل مع الله إلهًا آخر، وترد القلب إلى توحيده وعبادته. وقد يقر الإنسان بهذا المعنى، ثم تغلبه الغفلة فيتصرف كأن سبباً من أسباب الدنيا يملك أمره استقلالاً.

لكن الأخذ بالأسباب والاستعانة بالناس ليسا في نفسيهما عبادة لغير الله. موضع المراجعة هو منزلة هذه الأسباب في القلب، وما إذا كنا نتجاوز الحق إرضاءً لمن نظن أن نفعنا وضرنا في يده.



التوصية

خذ بالأسباب، وخطط، واسع لتحقيق أهدافك، واستحضر أن الله مسبب الأسباب، وأن فاعليتها لا تستقل عنه. وقل فيما تعزم عليه: إن شاء الله، مستحضراً معناها لا مردداً لفظها فحسب. ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۖ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الكهف: ٢٣-٢٤).

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

(الإسراء: ٢٣)

لا ينفصل التوحيد عن العمل الصالح وحسن المعاملة والإحسان إلى الناس. ويخص القرآن الوالدين بتأكيد خاص، فيقرن الإحسان إليهما بعبادة الله، كما يأمر بشكرهما مع شكره: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (لقمان: ١٤).

هذا الاقتران يبين عظم حقهما، لا مساواته بحق الله. وبرهما لا يتوقف على أن يوافقا رغباتنا، لكنه لا يعني طاعتهما في المعصية أو ترك الحماية من الأذى؛ فحسن الصحبة يجتمع مع الامتناع عن الخطأ (لقمان: ١٥).

التوصية

اجعل في يومك أو أسبوعك نصيباً لبر والديك: اتصالاً، أو خدمة، أو دعاءً، أو وفاءً بما بقي لهما من حق. وإن كانت العلاقة مؤلمة، فاطلب مشورة حكيمة تعينك على الجمع بين البر وحفظ السلامة والحقوق.

وقفة مع النفس

ما صورة البر الممكنة في ظروفنا الآن، بعيداً عن التقصير وعن تحميل نفسي ما لا أستطيع؟

ط
﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾

(الإسراء: ٢٧)

يواجه القرآن التبذير بشدة؛ لأنه إفساد للنعمة وتضييع لما يمكن أن ينفع الإنسان وغيره. وليس كل إنفاق على الراحة أو الجمال تبذيراً؛ فالمعيار هو وجه الإنفاق وحدوده والحقوق التي قد يضيعها.

وقد يغري الإنسان مظهر اجتماعي أو لقب أو وعد بالتميز، فينفق ليحفظ صورته عند الناس لا ليقضي حاجة حقيقية. وهنا تحتاج الرغبة إلى مراجعة، لا إلى تصديق كل ما تعدنا به الإعلانات.



التوصية

كن مقتصدًا في معيشتك، واستمتع بما أحل الله دون إسراف. وقبل شراء ما يثقل التزاماتك، اسأل نفسك: هل أحتاج إليه، أم أشتري به صورة أريد أن يراها الناس؟ ولا تجعل الرغبة العارضة تزاحم حقًا واجبًا أو حاجة أهم.

﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنَ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾

(الإسراء: ٢٨)

حتى حين تعجز عن العطاء، يبقى للقول الطيب مكانه. تدعونا الآية إلى القول الميسور حين لا نجد ما نعطيه، فنحفظ للسائل كرامته، ونخاطبه بلطف واحترام، من غير منٍّ ولا وعد نعلم أننا لا نستطيع الوفاء به.

التوصية

إن لم تملك تلبية حاجة من يطلب منك مالاً أو وظيفة أو مساعدة، فبين عجزك بلطف. وإن عرفت سبيلاً ينفعه فدلّه عليه، واحرص على أن يخرج من لقاءك محفوظ الكرامة، ولو لم تقدر على إعطائه ما طلب.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾

(الإسراء: ٢٩)

تؤسس هذه الآية للقصد في الإنفاق بين الإمساك المذموم والبسط الذي يستنزف ما في اليد. وتدعو إلى استعمال المال بما يحفظ الكفاية ويتيح الإحسان.

وتعيننا الآية على مراجعة عاداتنا المالية، من غير أن نجعل كل تعثر مالي دليلاً على التبذير، فقد ينشأ التعثر عن مرض أو فقد رزق أو ظروف خارجة عن الاختيار.



التوصية

وازن بين دخلك والتزاماتك وحاجات من تعول، واجعل للعطاء نصيباً تستطيع الاستمرار عليه. وراجع ما تشتريه تحت تأثير المظهر أو المقارنة بالآخرين. فإذا تعثرت، فاطلب المشورة ورتّب التزاماتك بما تستطيع، بدل أن تضيف إلى ضيقك لوماً لا يميز السبب من النتيجة.

وقفة مع النفس

أي نفقة أستطيع مراجعتها دون أن أضرب بحاجة أساسية أو بحق من أعول؟

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾

(الإسراء: ٣٠)

تذكرنا الآية بأن بسط الرزق وتقديره يجريان بعلم الله وخبرته بعباده. وقد يبدو لنا ما نطلبه خيراً خالصاً، ثم تكشف عاقبته عن وجوه لم نكن نعرفها.

لكننا لا نخطط بالحكمة الخاصة وراء كل سعة أو حرمان، ولا يجوز أن نجعل الفقر شاهداً على سوء صاحبه أو الرخاء دليل رضا الله عنه. الثقة بالله تحفظ الرجاء، ولا تعطينا من فهم الأسباب وإصلاح ما نستطيع منها.



التوصية

قد تُحرم ما سعت إليه، أو تُبتلى بما لم تتوقعه. اسمح لنفسك أن تحزن، لكن لا تغلق باب الرجاء؛ استمر في سعيك لتحسين وضعك، واطلب المساعدة حين تحتاج إليها. لا يلزم أن تعرف حكمة كل ما وقع حتى نثق بعدل الله ورحمته.



﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ
وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

(الإسراء: ٣٦)

نطالع كل يوم كمًا هائلًا من الأخبار والمعلومات، وقد بنى عليها موقفًا أو نشرها قبل التثبت منها، فتتضرر سمعة إنسان أو علاقة أو مصلحة.

تنهانا الآية عن اتباع ما لا علم لنا به، وتذكرنا بمسؤولية السمع والبصر والفؤاد. ليس المقصود أن نطلب يقيناً متعذراً في كل شأن، بل أن نتثبت بما يلائم الأمر وخطورته، وأن نميز ما نعرفه مما نظنه أو نجهله.



التوصية

قبل أن تنشر خبراً أو تحكم على شخص، تحقق من المصدر والسياق وما يدعم الدعوى. وإن لم يتبين لك الأمر، فلا تجزم به، ولا تجعل التصريح بعدم التحقق مبرراً لنشر ما قد يضر الناس. وإذا اكتشفت أنك نشرت خطأ، فصححه بوضوح لمن وصل إليه.

وقفة مع النفس

ما الخبر الذي صدقته لأنه وافق ميلي، لا لأنني تحققت من دليله؟

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن
تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾

(الإسراء: ٣٧)

الغرور والخلاء والتكبر من الآفات التي تفسد معرفة الإنسان بنفسه وعلاقته بالناس. وترده الآية إلى حقيقة حدوده: لن يخرق الأرض، ولن يبلغ الجبال طوًلاً.

نحن مخلوقون مفتقرون إلى الله، لكن افتقارنا لا يلغي وجودنا الحقيقي ولا قدرتنا على العمل. وما أوتينا من قوة أو نجاح عطاء ومسؤولية، لا مبرر للتعالي على أحد.



التوصية

راقب ما يتسلل إلى نفسك من كبر، واحرص على التواضع في تعاملك مع الناس، ولا سيما من هم أقل منك مالا أو نفوذاً. احترم العامل والخدام والفقير، واعترف بفضل من أعانك، من غير أن تحقر نفسك أو تنكر ما أحسنت عمله.



﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

(الإسراء: ٤٤)

يبين القرآن أن السماوات والأرض ومن فيهن يسبحون الله، وأن كل شيء يسبح بحمده، ثم يذكر حد فهمنا لهذا التسبيح: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤).

وحين نتأمل هذا الخلق، تنفتح قلوبنا على عظمة خالقه، ونستشعر أننا كسائر الموجودات، مفتقرون إليه. نعرف من دلالته ما أتاحه لنا، ويبقى من كيفية تسبيح المخلوقات ما لا نحيط به.



التوصية

خصص من وقتك دقائق تأمل فيها السماء أو الأرض أو كائناً حياً، بعيداً عن الاستعجال. استشعر أنك من هذا الخلق المفتقر إلى الله، واجعل تأملك باعثاً على الحمد والرعاية وحسن العمل، لا مجرد فكرة تمر ثم تنساها.



﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

(الإسراء: ٥٣)

يدعونا الله إلى أن نتحرى الأحسن في مضمون ما نقوله وطريقة عرضه. فالفكرة الصحيحة لا تعفينا من حسن عرضها؛ وقد تجرح كلمة صادقة إذا قيلت بقسوة، أو تضع فائدة نصيحة في لغة متعالية.

وحسن القول ليس زينة تخفي الباطل، بل صدق يُؤدّي بما يلائم المقام ويحفظ كرامة المخاطب. نجع سلامة المعنى وجمال الأسلوب، ولا نجعل أحدهما بديلاً عن الآخر.



التوصية

تمرّس على اختيار أحسن الكلمات في حديثك وكتابتك. وقبل رسالة أو حوار صعب، راجع عبارتك: هل توضّح ما تقصده بصدق؟ وهل يمكنك أن تؤديه بأسلوب أطف وأوضح، من غير تزييف للحق؟

وقفة مع النفس

كيف أقول الفكرة نفسها بوضوح أكبر ولطف أكثر، من غير أن أساوم على معناها؟

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ
الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾

(الإسراء: ٥٣)

الشيطان عدو حقيقي كما يصفه القرآن، ومن عمله النزغ بين الناس والوسوسة والتزيين. وقد تبدأ الخصومة بكلمة نخملها أسوأ المعاني، ثم نسترسل في الغضب حتى نقول أو نفعل ما نندم عليه.

قد يفتح الاسترسال مع سوء الظن باباً للإيذاء، فتدعونا الآية إلى الانتباه والاستعاذة بالله. غير أن الخاطر المزجج الذي يمر بغير اختيارك ليس هو الموقف الذي تثبناه أو الفعل الذي تقصده.



التوصية

حين تحتد الخصومة، تمهل قبل الرد، واستعد بالله، ولا تتعجل في نسبة أسوأ قصد لمن أمامك. لا تسترسل مع ما يزين لك الإيذاء، ولا تلم نفسك على خاطر لم تختره ولم تثبته؛ واطلب العون المتخصص إذا أصبحت الأفكار الملحة معاناة تعطل حياتك.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾

(الإسراء: ٦١)

أمر الله بالسجود لآدم (ع)، فأبى إبليس مستكبراً، وجعل مادة خلقه حجة للتفوق: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢).

ويحذرننا هذا الموقف من منطق يرفع قيمة إنسان أو يحط من قيمة آخر بسبب أصله أو عرقه أو انتمائه. فالقرآن يجعل معيار الكرامة عند الله التقوى، ويدعو الناس إلى التعارف: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (المحجرات: ١٣).

الانتماء لا يبرر الظلم، ولا يعفيانا من الاعتراف بالحق حين يظهر عند غير جماعتنا.



التوصية

اعمل على اقتلاع العصبية من حكمك وسلوكك، دينية كانت أو طائفية أو عرقية أو قبلية. أحب أهلك وانتماءك من غير أن تنتقص الآخرين، وطبق ميزان العدل نفسه على من توافقه ومن تختلف معه.

وقف مع النفس

هل كنت سأحكم على هذا التصرف الحكم نفسه لو صدر من شخص ينتمي إلى جماعتي؟

﴿وَأَسْتَفِزُّ مَنْ أَصْطَفَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ
عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۚ إِنَّ
عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾

(الإسراء: ٦٤-٦٥)

تصور الآيات تنوع مداخل الإغواء: الصوت، والاستنفار، والمشاركة في المال والولد، والعود الخادعة. وتدعونا هذه الصورة إلى مراجعة ما يوجه رغباتنا وقراراتنا، من غير أن نسمي كل وسيلة حديثة أداة شيطانية بذاتها.

وفي المقابل، تؤكد الآيات أن الشيطان لا يملك سلطاناً على عباد الله. فالإغواء ليس قوة تسلب الإنسان اختياره قهراً؛ وإنما يدعوه الشيطان ويزين له، وتبقى الاستعاذة والتذكر والرجوع أبواباً مفتوحة.



التوصية

انتبه إلى ما يغريك بالتنازل عن الحق في مالك أو علاقاتك أو تربية أبنائك. واستعن بالله على مقاومة الإغواء، ثم اتخذ سبباً عملياً: اقطع مدخلاً يضعفك، أو اطلب صحبة تعينك، أو صحح تبريراً خدعت به نفسك.

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ
لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

(الإسراء: ٦٦)

تذكر الآية نعمة تيسير الفلك في البحر لابتغاء فضل الله. فالحياة ليست مجالاً
نسحب منه حتى نعبده، بل يمكن أن يكون طلب الرزق وقضاء الحاجات
وخدمة الناس من ميادين عبادته.

ولا يصبح كل نشاط قرباً مكتسباً لمجرد أنه حركة في العالم. إنما ننظر إلى ما
ينميه فينا من علم وقوة وكال، وإلى وجهة استعمال ما نكتسبه: هل نستجيب
فيه للحق ونطلب رضا الله، أم نسخره للظلم والغفلة؟



التوصية

قاوم التقاعس ما استطعت، وابتغ فضل الله بجد وإتقان. واستشعر
معاني العبودية وأنت تتعلم وتعمل وتقضي حاجاتك وحاجات غيرك.
ليست العبرة بأن تكثر الحركة أو تنهك نفسك، بل أن تحسن العمل في
حدود وسعك.

وقف مع النفس

ما الذي ينميه عملي في نفسي، وإلى أي وجهة أستعمل ما أكتسبه
من قدرة؟

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُمْ
مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

(الإسراء: ٧٠)

تقرر الآية تكريم بني آدم وتفضيلهم على كثير ممن خلق الله. وهذا التكريم يدعونا إلى احترام الإنسان، وإلى صون ما أودع الله فيه من قوى واستعدادات.

لا يلزم من التواضع أن نحقر أنفسنا، كما لا يبيح التكريم أن نتعالى على غيرنا. بقدر ما أوتينا من نعمة، نتسع مسؤوليتنا عن حسن استعمالها وصون كرامة من نعیش معهم.

التوصية

استذكر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وتعامل مع نفسك والآخرين في ضوئه. لا تحقر أحداً لفقر أو ضعف أو اختلاف، ولا تحط من قدر نفسك بالظلم أو ترك ما تستطيع من خير ونمو.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْمِهِمْ﴾

(الإسراء: ٧١)

من المعاني المروية في تفسير الدعوة بالإمام يوم القيامة: أن يدعى الناس بمن اتبعوه وأئتموا به.^٦ وفي هذا المعنى ما يوقظ السؤال لمن نسلّم وجهتنا، وعما نتعلمه منهم من خير أو شر.

ليس الاقتداء اسمًا نعلنه فقط، بل أثر يظهر فيما نعجب به ونحبه ونختاره ونعمله. وقد نعلن قدوة بألسنتنا، ثم يكشف سلوكنا أننا نتبع ميزانًا آخر.

التوصية

ابحث في وجدانك عن متأثر به وتحاول انتهاج مسلكه. واستحضر أسوة الرسول (ص) في صدقك ورحمتك وأمانتك، ولا تجعل إعجابك بشخص يمنعك من مراجعة فعله أو رفض خطئه.

وقفة مع النفس

من الذي أقنّدي به فعليًا حين أتخذ قراراتي، لا حين أصف نفسي أمام الناس؟

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ
فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾

(الإسراء: ٧٢)

قد تحجب الشهوة والعصبية والغرور بصيرة الإنسان، فيضعف تمييزه للحق، أو يرى الخطأ صواباً لأنه يلائم ما يريد. وليس المقصود هنا فقد البصر العضوي؛ فالآية تلفت إلى عمى الهداية وما يتبعه من ضلال.

ومراجعة هذا الحجاب لا تقتضي إلغاء المشاعر أو معاداة النفس، وإنما أن نفهم دوافعنا وألا نسمح لها بأن تستبد بالحكم.

التوصية

تمرس على التروي في قراراتك. أصغ إلى مشاعرك لتفهم ما تنبهك إليه، ثم زن ما تدفعك إليه بالعقل والحق والقرائن. ليس المطلوب أن تكون إنساناً آلياً بلا إحساس، بل أن تتكامل معرفتك ومشاعرك واختياراتك بدل أن تتركها لأهواء لم تحصها.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ
عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾

(الإسراء: ٧٩)

يأمر الله رسوله (ص) بالتهجد، ويَعِدُه بالمقام المحمود؛ فلا يُنقل هذا الوعد
انخاص إلى كل من قام الليل^٧. ولقيام الليل مجال للخلة بالله وحضور القلب
بين يديه. ويضيء هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ
قِيلًا﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿ (المزمل: ٦-٧).

التوصية

اجعل لنفسك نصيباً تستطيع المداومة عليه من صلاة الليل، ولو قليلاً،
وصلِّ بهدوء وحضور قلب. بُثَّ إلى الله همك، واستعن به على يومك،
من غير أن تجعل النافلة سبباً لإهمال صحة أو حق واجب؛ فالتقرب ليس
في الإنهاك، بل في صدق العبادة وحسن الوفاء.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾

(الإسراء: ٨٠)

يدعونا هذا الدعاء إلى أن نجعل الصدق حاضرًا في مداخل أمورنا ومخارجها:
في النية، والكلمة، والعهد، والعمل.

ومن الصدق مع نفسك أن يتوافق فعلك مع الحق الذي عرفته وقبلته
وقصده. ليست رغبتك وحدها ميزان الحق، ولا التعثر العارض حكمًا عليك؛
والمطلوب أن تكف عن التبرير، وتصلح ما تستطيع، مستعينًا بالله.



التوصية

جدّد في صباحك العزم على الصدق والأمانة، واختر موقفًا تطبق فيه
ذلك اليوم. وإن وجدت ضغطًا يعوقك، فاطلب طريقًا حكيمًا يحفظ
الحق والسلامة، واستعن بمن يعينك؛ ولا تسمّ الخوف حكمةً قبل أن
تنحص ما في وسعك.

وقف مع النفس

ما الحق الذي تبين لي، وما العذر الذي أكرره حتى لا أبدأ العمل به؟

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

(الإسراء: ٨١)

تعلن الآية مجيء الحق وزهوق الباطل، وتمنح المؤمن ثقة بأن الباطل لا يصير حقًا لمجرد قوته أو طول بقاءه.

لكن هذه الثقة لا تعني أن كل باطل سيزول أمانًا سريعًا، أو أن كل ما نسميه نحن حقًا قد ثبت كذلك. لا بد من العلم والعدل وحسن العمل؛ فقد يخطئ الإنسان في فهمه، وقد يحتاج الإصلاح إلى صبر وتعاون ومراجعة.

التوصية

تمسك بما تبين لك من الحق، واسع إلى الإصلاح بالوسائل العادلة التي تستطيعها. ولا تجعل الإصرار على موقفك مانعًا من سماع الحجّة أو تصحيح الخطأ؛ ففوة التمسك بالحق تظهر أيضًا في الشجاعة على الرجوع إليه.

﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾

(الإسراء: ٨٢)

يصف الله ما ينزله من القرآن بأنه شفاء ورحمة للمؤمنين. فهدايته تكشف ما يفسد علاقة الإنسان بربه ونفسه والناس، وتفتح باب التزكية والرجوع وإصلاح الوجهة.

وليس هذا وعداً بأن القراءة والتدبر يكفيان وحدهما لعلاج كل مرض نفسي أو اجتماعي. فقد يحتاج الإنسان إلى علاج متخصص، أو دعم من حوله، أو تغيير ظروف تؤذيه؛ وهذا من الأخذ بالأسباب، لا من ضعف الثقة بالله.^٨



التوصية

خصص لنفسك وقتاً تقرأ فيه ما تيسر من القرآن بتدبر، ولو آية أو آيتين. اسأل: ما الحق الذي يضيئه لك؟ ثم صل فهمك بخطوة عملية. وإذا كنت تعاني اضطراباً أو ألماً مستمراً، فلا تجعل طلب العلاج موضع نجح، ولا تؤخره انتظاراً لشعور يدل على قوة إيمانك.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ
بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾

(الإسراء: ٨٣)

تكشف الآية تقلب الإنسان بين الإعراض حين تناله النعمة واليأس حين يمسّه الشر. وهي تدعونا إلى ألا نتحدد صلتنا بالله بإقبال الدنيا أو إدبارها.

الإيمان يفتح أفقاً أوسع للحياة، ويحفظ الرجاء حين تضيق الأسباب، لكنه لا يجعل المؤمن معصوماً من الحزن والخوف أو المرض. فهذه الأحوال لا تكفي للحكم على إيمانه، كما أن الهدوء الظاهر لا يكفي للحكم على استقامته.

وقد يكون الحزن باباً للدعاء وطلب المساندة؛ وليس على الإنسان أن يخفي ألمه حتى يكون صادقاً في توكله.



التوصية

توجه إلى الله بفرحتك وألمك. اشكره على ما سرك، وُبِّثْ إليه ما أثقلك، ثم اطلب ما تحتاجه من عون وعلاج وحماية. وحين تضعف، فاجعل ضعفك سبباً للاستعانة، لا حِكْماً بأنك خرجت من رحمته.

وقفة مع النفس

هل أستعين بالله وأطلب العون، أم ألوم نفسي لأنني لم أستطع أن أبدو مطمئناً؟

﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾

(الإسراء: ٨٤)

تربط الآية العمل بالشاكلة: بما استقر في الإنسان من حال وطريقة يسلك على وفقها. ومن هنا نفهم أهمية مراجعة ما نعتاده من تفكير وشعور وفعل، لا ما يظهر من سلوك منفرد فقط.^٩

تشارك اختياراتنا المتكررة في تشكيل هذه الشاكلة، لكنها لا تستوعب جميع عواملها؛ فلبدن والبيئة والتجربة أثر كذلك. وما رسخ في النفس ليس قدرًا مغلقًا، وإن كان تغييره يحتاج إلى وقت وعمل وعون.

وفي قراءة المشروع، النفس واحدة، ولها جهات تتصل بالجسد والقلب والعقل والروح؛ وليست هذه ذواتًا مستقلة. والتزكية أن يزداد الاتساق بين ما نعرفه من حق وما نقبله ونقصده ونفعله.

التوصية

راجع فكرة متكررة أو عادة تؤثر في تصرفاتك: كيف نشأت، وما الذي يغذيها، وما الذي تستطيع تغييره فيها؟ لا تكتف بمطالبة نفسك بإحساس مختلف؛ عدّل ممارسة أو ظرفًا، واطلب معرفة أو مساندة تعينك على ذلك.

وقفة مع النفس

ما النمط الذي يتكرر في استجاباتي، وما الخطوة الممكنة لتغيير ما يغذيه؟

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ
كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾

(الإسراء: ٨٩)

يبين القرآن أنه صرّف للناس من الأمثال ما يوضح الحق ويدعو إليه، ومع ذلك قد يقابل البيان بالإعراض. فلا يكفي وضوح الحجّة في نفسها لضمان قبول كل من يسمعها.

ومن التدبير في ذلك أن نثبت على ما تبين لنا من حق، من غير أن نجعل كثرة الموافقين أو قلتهم دليلاً قائماً بذاته على صدق ما نعتقده.

التوصية

ورد عن الإمام علي (ع) في نهج البلاغة: «أيها الناس، لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله»^{١٠}. فلا تجعل قلّة الموافقين سبباً للتنازل عما ثبت لك، ولا سبباً لاحتقار المختلفين معك. كرر البيان بلطف وحكمة حين ينفع، وراجع فهمك حين تظهر لك حجة، واحفظ للناس حقهم في السؤال والاختيار.

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ
 أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا
 تَفْجِيرًا ۖ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ
 بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۖ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ
 تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا
 نَقْرُوهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾

(الإسراء: ٩٠-٩٣)

يسوق هذا المقطع مطالب طرحها المكذبون على الرسول (ص)، ويختم برد
 يقرر بشريته ورسالته. فليس الرسول مالكا للغيب أو متصرفا في الكون
 يستجيب لكل ما يقترح عليه من خوارق.

ولا تنفي الآيات المعجزات، وإنما ترد الإيمان إلى الحجة، بدل أن يتحول إلى
 اختبار يمل في المنكر شروطه كما يشاء. والعقل يفحص الدليل، ولا يسلم لكل
 دعوى عجيبة أو تجربة شخصية بوصفها برهانا على الحق." ^{١١}



التوصية

ابن قناعاتك على الدليل، واجمع في طلب المعرفة بين العقل والخبر الصحيح والتجربة والوحي. لا تسلم زمامك لحلم أو هوى أو عصبية أو مدّعٍ للكرامات، ولا تجعل ما لا تفهمه ذريعة لتصديق أي تفسير يُعرض عليك.



﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾

(الإسراء: ٩٦)

ترد الآية أمر الرسالة والتكذيب إلى شهادة الله وعلمه بعباده. وفي ذلك ما يسند صاحب الدعوة حين يبذل حجته ولا يجد قبولاً.

يمكن أن نستفيد منها أن رفض الآخرين لا يلزمنا بالتخلي عما تبين من الحق، كما لا يعيننا من مراجعة فهمنا وأسلوبنا. وللنقاش حدٌّ حين لا يعود سبيلاً إلى الفهم، بل تكراراً للخصومة.



التوصية

بَيِّنْ ما تعتقده من حق بوضوح ولطف، وأصع إلى الاعتراض الجاد. فإن استنفدت ما يفيد من نقاش، فتوقف باحترام، ولا تجعل إقناع شخص بعينه شرطاً لسكينتك أو لاستمرار عملك. اجث عن مجال ينفع فيه البيان، مع حفظ حق الآخرين في الاختيار.

﴿قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا
لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾

(الإسراء: ١٠٠)

تلفتنا الآية إلى إمكان الخوف من الفقر ونفاد ما نملك، حتى مع تصور امتلاك خزائن الرحمة. فليست المشكلة دائماً قلة ما نملك؛ قد تكون في تعلق يجعل امتلاك المزيد عاجزاً عن منحنا الأمان.

وفي قراءة المشروع، قد يكون بعض الضيق الذي يولده الإعراض وطغيان التعلق صورةً من صور «العذاب الأدنى» المنبّه إلى الرجوع. وهذا جمع تفسيري مقترح، لا تفسير لكل خوف أو مرض، ولا يثبت بمجرد الألم ذنب صاحبه.^{١٢}



التوصية

راجع موضع الأمان في قلبك: هل تستعين بالمال في حاجاتك، أم تطلب منه ضماناً لا يقدر عليه؟ اقترب من الله بالذكر والبذل وحسن العمل، وعالج الأسباب الواقعية لقلقك. ولا تتهم نفسك أو غيرك بضعف الإيمان لمجرد استمرار المعاناة.

وقف مع النفس

ما الحاجة الحقيقية التي أعمل على قضائها، وأين أطلب من المال أو غيره ضماناً مطلقاً لا يملكه؟

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾

(الإسراء: ١٠٥)

نزل القرآن بالحق ليهدي الإنسان، وجاء الرسول (ص) مبشراً ومنذراً. فلا نقرأه بوصفه كلمات نتبرك بتلاوتها ثم نترك هدايتها خارج قراراتنا وعلاقاتنا.

لكن مرجعيته للهداية لا تعني أنه كتاب تفصيلي في كل علم أو مهنة؛ ولا تجعل الاستفادة من خبرة غير المسلم إغراضاً عنه. موضع الخلل أن نعزل هدى الله وأحكامه الثابتة عن غاياتنا وقيمنا وسلوكنا، أو نقرأ القرآن دون أن نسمح له بمراجعة ما اعتدنا.

التوصية

صاحب القرآن واقرأ ما تيسر منه بتمعن، واستعن بتفسير موثوق حين يشكك عليك المعنى. واجمع بين هدايته وما تحتاجه من علم وخبرة. وقد روي في فضل القرآن: «ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله».^{١٣} فاطلب فيه هدى غاياتك وقيمك، وانتفع بالعلوم النافعة وأنت مستبصر بما تأخذ منها.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى
النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾

(الإسراء: ١٠٦)

أنزل الله القرآن مفرقاً ليقراه الرسول (ص) على الناس على مكث. وفي ذلك دعوة إلى التلقي المتأن الذي يفتح باب الفهم والعمل، بدل الاختصار على سرعة المرور بالكلمات.

للتلاوة فضلها، لكن عدد الختمات وحده لا يبين مقدار ما فهمنا أو جسّدنا من الهداية. فلنسأل مع فرحتنا بالقراءة: ماذا استقر في قلوبنا منها، وما الذي تغيّر في عملنا بسببها؟



التوصية

خذ وقتك في التدبر، وأعد قراءة الآية بقدر ما تحتاج لفهمها. وقد يكفيك اليوم معنى واحد يصحبك إلى عملك أو بيتك؛ فلا تجعل الاستعجال إلى الصفحة التالية يحجب عنك ثمرة الصفحة التي بين يديك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا تِلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ
لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا
لَمَفْعُولًا ۖ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ وِزِيرُهُمْ خُشوعًا﴾

(الإسراء: ١٠٧-١٠٩)

تصف الآيات قوماً أوتوا العلم، فلما تلى عليهم القرآن عرفوا صدق الوعد وخشعوا لله، وظهر أثر ذلك في سجودهم وبكائهم.

الإيمان هنا ليس جمعاً للمعلومات فقط؛ إنه معرفة يقبلها القلب وتُصدّقها الوجهة والعمل. وليس كل من عرف قد أذعن، ولا كل من أذعن عبّر بالطريقة الوجدانية نفسها؛ فلا نجعل البكاء أو شدة الانفعال مقياساً وحيداً للإيمان.



التوصية

اقرأ القرآن بقلب مستعد للفهم والقبول، ودع نفسك تتفاعل دون تكلف: بدمعة أو شكر أو سجود أو عزم على إصلاح. وإذا لم تجد شعوراً قوياً، فلا تيأس؛ اطلب الفهم واستمر في العمل. ثم انظر: ما الذي تغير في سلوكك بما قرأت؟

وقف مع النفس

ما الذي عرفته وأقررت به، ولم يبدأ بعد في توجيه اختياري؟

﴿قُلْ اَدْعُوا اللَّهَ اَوْ اَدْعُوا الرَّحْمٰنَ
اَيَّا مَا تَدْعُوْا فَلَهُ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنٰى﴾

(الإسراء: ١١٠)

يدعونا الله إلى دعائه بأسمائه الحسنى، لنعرفه بأسمائه ونقصده فيما يعرض لنا من حاجة ورجاء. فإذا ضاق الرزق دعوانه الرزاق، وإذا أذنبنا رجونا مغفرته، وإذا ضعفنا استعنا بالقوي الرحيم.

هذا التوجه لا يلغي ما أوتينا من قدرة، بل يردّها إلى مصدرها، ويمنع القلب من أن يجعل الأسباب المحدودة ملجأ الأخير. فنحن مفتقرون إلى الله في الضعف والقوة معاً.



التوصية

إلى جانب الأدعية الماثورة، خاطب الله بما في صدرك من شكر أو سؤال أو استغفار. تأمل معنى الاسم الذي تدعوه به، ثم خذ بالأسباب التي يقتضيها ما تطلبه: عملاً، أو تعلماً، أو ردّاً لحق، أو طلباً للعون.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾

(الإسراء: ١١١)

تجمع خاتمة السورة بين الحمد والتوحيد والتكبير، وترد القلب إلى الله الذي لا شريك له ولا حاجة به إلى ولي من الذل.

أن نحيا التوحيد يعني أن يكون الله غايتنا ومرجع عبادتنا، وألا نعطي ما دونه منزلة مطلقة في قلوبنا. وهذا يوجه طاقاتنا، لكنه لا يطلقها خارج حدود الخلقة أو السنن؛ فالنمو يحتاج إلى علم وعمل ووقت ومدد.



التوصية

اختر ذكراً مأثوراً في التوحيد تحب معناه، وردده في أوقات متفرقة من يومك. ولا تكتف ب تكرار لفظه؛ استحضر ما يقتضيه في موقف تعيشه: أمانة تؤديها، أو خوف لا تستسلم له، أو نعمة تشكر الله عليها، أو عمل تستعين بالله على إتقانه.



وقفة مراجعة بعد سورة الإسراء

ماذا تغيّر فيك؟

قبل أن تنتقل إلى سورة الكهف، ارجع إلى معنى بقي معك. لست مطالباً بإحصاء ما حفظت أو بإصدار حكم على نفسك؛ انظر إلى ما صار أوضح، وإلى الموضوع الذي يحتاج منك استجابة.

ما الذي تغيّر في فهمي للتوكل؟

تذكر موقفاً سعيت فيه، أو وسيلة أهملتها، أو نتيجة حاولت ضمانها. أين أخذت بالأسباب، وأين حملت نفسك ما ليس بيدك؟

ما الحق الذي تبين لي ولم يصبح عملاً بعد؟

اختر أمراً محدداً: أمانة، أو كلمة، أو حق إنسان، أو عادة. اسأل عما يفصل فهمك عن استجابتك، بدل الاكتفاء بمدح المعنى.

أين أحتاج إلى تمييز مسؤوليتي من ظروفِي؟

لا تحمل نفسك فعل غيرك، ولا تتخل عن مساحة الاختيار التي بقيت لك. ما الذي تستطيع إصلاحه، وما العون الذي تحتاجه؟

يمكنك أن تكتفي بسؤال واحد اليوم، ثم تعود إلى البقية حين تجد لها مكاناً في حياتك.

من الفهم إلى الوفاء

خطوة تصحبك إلى يومك

قد تكون ثمرة القراءة تغييراً صغيراً لا يراه أحد: كلمة أصدق، أو موقفًا أكثر عدلاً، أو عودة إلى الله بعد غفلة. لا تستصغر أثره، ولا تستعجل الحكم على المسار كله.

ما النمط الذي اكتشفته في استجاباتي؟

هل تستعجل الحكم، أو تلتمس رضا الناس على حساب الحق، أو تقسو على نفسك حين تتألم؟ سمّ النمط، ثم راجع ما يغذيه.

ما النعمة التي أريد أن أشكرها بعمل؟

فكر في معرفة أو وقت أو علاقة أو قدرة، واختر استعمالاً نافعا لها يتجاوز مجرد الاعتراف بوجودها.

ما الخطوة الممكنة التي سألتزم بها؟

حدّد الفعل، وموعد البدء، وما يعينك عليه. ثم اختر موعداً قريباً لمراجعته؛ لا تلوم نفسك، بل لتتعلم وتصحح وتواصل.

اكتب لنفسك سطرًا: «تبين لي... وسأبدأ ب... وأحتاج إلى...». ثم استعن بالله وابدأ، ولو بخطوة صغيرة.





سورة الكهف

عِشْ سَعِيدًا

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا﴾

(الكهف: ١-٢)

تفتتح سورة الكهف بحمد الله على إنزال الكتاب ونفي العوج عنه. وهذا يدعونا إلى الثقة بهدياته، وإلى أن نقرأه قراءة تسمح له بمراجعة ما ألفناه من تصورات وممارسات.

والثقة بالقرآن لا تعني عصمة فهمنا له؛ فنحن نحتاج إلى تعلم اللغة، ومراعاة السياق، والرجوع إلى التفسير، وإلى التمييز بين دلالة النص وما نستنبطه منه لحياتنا.



التوصية

اقرأ القرآن وأنت مستعد للتعلم، لا باحثاً فقط عما يوافق رأيك. اعرض عليه غاياتك وقيمك، وثبت من فهمك لما تقرأ، وتحل بالشجاعة لتصحيح عادة أو قناعة إذا ظهر لك خطأها.

﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ ﴿٢٠﴾ مَّكَثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٢١﴾

(الكهف: ٢-٣)

يجمع هذا المقطع بين الإنذار والبشارة: ينذر بالعقوبة، ويبشر المؤمنين العاملين بالصلوات بأجر حسن يقيمون فيه أبدًا. فلا تغيب الرحمة والرجاء عن خطاب يدعو إلى الله.

وقد يغلب التخويف على حديثنا مع أنفسنا أو مع من نرشدتهم، حتى نحجب عنهم باب البشارة. كما قد يتحول الرجاء إلى أمن من عاقبة الخطأ، والتوازن أن نرجو رحمة الله ونحن نسعى إلى ما يرضيه، ونحذر التقصير من غير قنوط.



التوصية

وازن بين الخوف والرجاء في حياتك وفي دعوتك إلى الله. دع الخوف ينبهك إلى التقصير من غير أن يقنطك، ودع الرجاء يفتح لك باب العمل من غير أن يجعلك آمناً من المحاسبة. وبشر من حولك برحمة الله وجنته، من غير أن تغفل التحذير من عاقبة الخطأ.

وقف مع النفس

أين أحتاج إلى رجاء ينهض بي، وأين أحتاج إلى محاسبة تردني إلى الإصلاح؟

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

(الكهف: ٤-٥)

ينكر القرآن هنا القول بأن الله اتخذ ولداً، ويكشف أنه قول بغير علم، لا يثبت توارثه عن الآباء. وهذا يذكرنا بمسؤولية ما ننسبه إلى الله، وينبهنا كذلك إلى التثبت قبل تداول المعلومات، ولا سيما ما يمس الاعتقاد وحقوق الناس؛ من غير تسوية كل خطأ في النقل بالدعوى التي تناوّلها الآيات.



التوصية

استشعر مسؤوليتك عن الكلمة، ولا سيما ما تنشره في وسائل التواصل. تحقق مما ينسب إلى الناس أو إلى الدين، وميّز رأيك من الخبر الذي تنقله. قرب كلمة امتد أثرها أبعد مما قصد صاحبها؛ وإذا بان خطؤها، فبادر إلى تصحيحه.

﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ
إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾

(الكهف: ٦)

تكشف الآية شدة حزن الرسول (ص) على من لم يؤمنوا، حتى جاء الخطاب يخفف عنه لئلا يهلك نفسه أسفًا عليهم.

ومن هذا الموقف نتعلم أن الدعوة إلى الخير تنبع من الرحمة والحرص على الناس، لا من الرغبة في الانتصار عليهم. وتعلم كذلك أن الرحمة لا تكلفنا امتلاك قلوبهم أو ضمان استجابتهم، ولا تقتضي إهمال أنفسنا.



التوصية

احفظ في قلبك إرادة الخير لمن تدعوه أو تنصحه، ولو اختلف معك. ابدل ما تستطيع بلطف، ثم لا تحمل نفسك مسؤولية اختياره. وحين يؤذيك أحد، فاجمع بين ترك الحقد وحماية نفسك؛ فالرحمة لا تعني تمكينه من مواصلة الأذى.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً
لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

(الكهف: ٧)

جعل الله ما على الأرض زينة، وجعلها مجالاً للابتلاء: أي الناس أحسن عملاً؟ فليست الرغبات والحاجات شرّاً في أصلها؛ وإنما يظهر الامتحان في كيفية التعامل معها.

لا تدعونا الآية إلى إلغاء الاستمتاع بالحياة، وإنما إلى حسن العمل فيها: كيف نطلب ما نحب، وبأي وسيلة، وما أثره في أنفسنا وغيرنا؟ وقد يكون الأحسن عملاً أهدأ مظهرًا وأقل لفتاً للأنظار.



التوصية

استمتع بما أحل الله، واستفد مما يتاح لك من موارد وفرص. ونافس نفسك في الإتيان والصدق والنفع، لا في الظهور وحده. اجعل طموحك باعثاً على النمو، دون أن تقيس قيمتك بما سبقك إليه غيرك من مال أو إنجاز.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾
 إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ
 عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾

(الكهف: ٢٣-٢٤)

يريدنا القرآن أن نعي حدود ما نخطط له، وألا نتكلم عن المستقبل كأننا نملكه. نقول: إن شاء الله، ونحن نعد الأسباب ونعمل، لا لنبرر ترك العزم.

وجاء في غرر الحكم، ضمن ما نسب إلى الإمام علي (ع): «أصل قوة القلب التوكل على الله». ^{١٤} فالقلب يستعين بالثقة بالله، ولو لم تأت النتائج كما رغب.

الفكرة ليست أن نستعين بالله على السير في الحياة وحسب، وإنما أن نستعين بالحياة وأحداثها وقراراتها على السير إليه: معرفةً وشكرًا وصبرًا وإحسانًا.



التوصية

اربط خطتك بالاستعانة بالله، واجعل فيها مجالاً للمراجعة. وإذا تغيرت الظروف، فعُدّ وسيلتك دون أن تفقد وجهتك. وإن غفلت، فعد إلى الذكر؛ لا على أنه كلمة تضمن النتيجة، بل استحضاراً لافتقارك إلى ربك في كل حال.

وقفة مع النفس

هل يغيّر فشل وسيلةٍ ثقتي بالله، أم يدعوني إلى مراجعة الوسيلة مع حفظ الوجهة؟

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾

(الكهف: ٢٧)

تأمر الآية بتلاوة ما أوحى إلى الرسول (ص)، وتقرر أنه لا مبدل لكلمات الله، ولا ملجأ من دونه. أما معرفتنا وفهمنا فهما عرضة للنقص والخطأ والتصحيح.

وعند ظهور تعارض بين ما نعرفه وما نفهمه من دلالة قرآنية، لا نسارع إلى جعل اجتهدانا هو كلام الله نفسه. نراجع صحة المعلومة، ودلالة النص وسياقه، وما إذا كان التعارض حقيقياً أو ناشئاً عن فهم ناقص.



التوصية

ثق بالقرآن، وتواضع في فهمك له. اسأل أهل العلم، وتحقق من الأدلة، ولا تجعل عادة فكرية أو تفسيراً واحداً حاجزاً دون التعلم. فتصحيح الفهم لا يضعف الثقة بالنص، بل يحفظها من أن تتعلق بما لم يقله.

وقفة مع النفس

هل أذاف عن دلالة تبينت لي، أم عن فهم اعتدته ولم أعد أخفصه؟

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(الكهف: ٢٨)

تدعو الآية إلى مصاحبة من يدعون ربهم يريدون وجهه، وتحذر من أن تصرفنا زينة الحياة عن صحبتهم. فلا يصبح قدر الإنسان عندنا تابعاً لماله أو جاهه، ولا نهملش من لا يملكون بريقاً اجتماعياً.

ولا تدم الآية كل علاقة مهنية أو تعاون مشروع مع صاحب مال؛ إنما تنهى عن الانصراف عن الصادقين طلباً لزينة الدنيا. فلتتعامل وتتعاون من غير أن نجعل المال ميزاناً لقدر الناس، أو نبيع الحق أو نهدر كرامتهم طلباً للمنفعة.



التوصية

راجع علاقاتك: هل تزداد عنايتك بشخص لأنك ترجوه لمنفعة، بينما تهمل من لا تنتظر منه شيئاً؟ احفظ للناس كرامتهم، وصاحب من يعينك على الخير، من غير تزلف ولا ازدراء.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن
ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

(الكهف: ٢٨)

تجمع الآية بين الغفلة عن ذكر الله واتباع الهوى وانفلات الأمر. وهي تحذر من أن نمح من يقودنا إلى ذلك طاعة تجعلنا نكرر خطأه.

يمكن أن يظهر هذا التأثير في علاقة شخصية أو مهنية أو في قدوة نتابعها. وليس المعيار مجرد مكانة الشخص أو انتمائه، وإنما ما يدعو إليه وما يقوم عليه قوله وفعله من حق أو هوى.



التوصية

لا تتبع رأياً أو سلوكاً مجرد إعجابك بصاحبه أو حاجتك إليه. اسأل عن دليله وأثره، واحفظ مساحة للمراجعة والاختلاف بأدب. واستعن بالله على ألا تتملك المنفعة أو الخوف من فقد رضا الناس على مخالفة ما تبين لك من الحق.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ^طفَنَ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

(الكهف: ٢٩)

يؤمر الرسول (ص) بإعلان أن الحق من الله، ثم يبين السياق تبعة الإيمان والكفر. فذكر المشيئة لا يجعل الطريقين متساويين في القيمة؛ بل يذكر الإنسان باختياره ومسؤوليته.

ومن مقتضى الدعوة أن نبين ونصح، لا أن نزعم القدرة على صنع الإيمان بالإكراه. علينا وضوح الحجّة وحسن العرض، وعلى المخاطب النظر والاختيار؛ ولا نحيط نحن بما بلغه من البيان، أو بما عاق فهمه.



التوصية

قل ما تبين لك من حق بأحسن طريقة تستطيعها، ودع للآخر مجالاً ليسأل ويفكر. لا تجعل إخضاعه لك غاية النصيحة. وإن لم يقبل، فراجع بيانك حيث يحتاج إلى مراجعة، واحفظ احترامه، واستمر فيما ينفع من عمل.

وقفة مع النفس

هل أريد للآخر أن يتبين الحق ويختاره، أم أن يوافقني حتى أشعر بأنني انتصرت؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾

(الكهف: ٣٠)

تجمع الآية بين الإيمان والعمل الصالح، وتطمئن المحسن إلى أن الله لا يضيع أجره. فلا تكون المعرفة بديلاً عن الاستجابة، ولا يكفي الادعاء إذا ناقضه عمل يصر عليه صاحبه.

وفي المقابل، لا يجوز أن نجعل تقصيراً في جانب حكماً شاملاً على إنسان أو إهداراً لكل خير عنده؛ فالله يعلم النيات والظروف ومقدار البيان والوسع، وإليه الحكم على المال.



التوصية

احرص على نمو معرفتك وإيمانك وحسن عملك معاً. تعلّم ما تحتاج إليه، ثم جسّده في معاملة أو أمانة أو إتقان. وإذا لم تر ثمرة عاجلة، فلا تستهن بما أحسنت؛ استبشر بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ
أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾

(الكهف: ٣٥-٣٦)

قد تغري النعمة صاحبها فيطمئن إلى بقائها، أو يظن أنها دليل استحقاق لا يتغير. هكذا يكشف كلام صاحب الجنة غروراً تجاوز حدود ما في يده إلى الحكم على غيبه ومآله.

وقد يظن الإنسان أنه بلغ ما بلغ بجهد مستقلاً عن فضل الله، على نحو ما قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: ٧٨). وليس الاعتراف بالجهد مذموماً؛ المذموم أن يتحول إلى إنكار للافتقار أو تعالٍ على الخلق.

وقد وصف الزمخشري ما قد يستتر من هذا الغرور وراء المظاهر بقوله: «وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فإن السنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه».^{٥٠} فلنقرأ هذا التنبيه مرآةً نراجع بها أنفسنا، لا ذريعة للحكم على سرائر غيرنا.



التوصية

اسعَ إلى القوة والنجاح، واجعلهما في خدمة الخير. وكلما ازدادت رفعة، فازدد تواضعاً، كما في دعاء مكارم الأخلاق: «ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها».^{١٧}

وقفة مع النفس

لمن يعود الفضل فيما حققته، وما المسؤولية التي أضافتها إليّ هذه النعمة؟

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾

(الكهف: ٣٧)

يصف القرآن صاحبه بأنه يحاوره؛ فلم يمنعه اختلافه معه من أن يذكره بالله ويبين له وجه الخطأ.

ومن هذا الوصف نستفيد أدب الحوار: أن توجه إلى الفكرة ومآلها، لا إلى إهانة صاحبها. فقد تحفظ كلمة صادقة باباً للمراجعة، بينما تغلقه رغبتنا في إذلال من نختلف معه.



التوصية

انطلق في نقاشك من إرادة الخير والبحث عن الحق، لا من العصبية أو الرغبة في الانتصار لنفسك. فإذا وجدت الغضب يحكم كلامك، فتوقف

قليلًا، ثم عد إلى الفكرة بحجة وأدب: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٥٣).

﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾

(الكهف: ٣٧)

يرد الصاحب محاوره إلى أصل خلقه: من تراب، ثم من نطفة، ثم سواه الله رجلاً. إنه تذكير بأن ما أوتيته لم يمنحه استقلالاً عن خالقه.

الإنسان موجود حقيقي، وله قدرة ومسؤولية، لكنه مفتقر إلى الله في وجوده وقوته. والتواضع الصادق أن نعترف بهذا الافتقار مع حسن استعمال ما منحنا الله؛ لا أن ننفي عن أنفسنا كل قيمة أو فاعلية.



التوصية

حين تنجح، فاحمد الله، واذكر من أعانك وما أتيح لك من فرص، ثم اسأل كيف تؤدي حق النعمة. جدّد هذا التذكر في عملك كما في عبادتك، حتى لا يصبح اعترافاً تقوله بلسانك بينما تتصرف كأنك مستغن عن الجميع.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

(الكهف: ٣٩)

يدعو الصاحب إلى استقبال النعمة بذكر الله والاعتراف بأن القوة لا تستقل عنه. فلا يغيب المنعم عن القلب في لحظة الاستمتاع بما أعطى.

ليست «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله» عبارة نردها لنضمن بقاء ما نحب، بل إقراراً بالافتقار وامتناناً للعطاء، يوجهان استعمال النعمة نحو الخير.



التوصية

تمرّس على أن تجعل ذكر الله حاضرًا في وعيك ومشاعرك ولغتك، في كل ما يطرأ عليك من خير أو شر، سواء كنت مستمتعًا أم متألمًا، متحمسًا أم محبطًا.

﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۖ فَعَسَىٰ
رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا
حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۖ
أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾

(الكهف: ٣٩-٤١)

لا ينبغي لقلّة المال والولد أن تغلق باب الرجاء، كما لا ينبغي لكثرتهم أن تغرّ الإنسان. يضع الحوار ما في أيدينا في موضعه: عطاء محدود قد يتغير، لا ضماناً نستغني به عن الله.

وقد تذهب أسباب لا نتوقعها بعض ما جمعنا، فلا تدل القوة على حصانة من الفقد. وليس لنا أن نعدّ كل خسارة عقوبةً مخصوصة؛ فذلك يحتاج إلى علم لا نملكه عن أحوال الناس وبواطنهم.



التوصية

اجعل اعتماد قلبك على الله، وخذ بما تستطيع من أسباب الحفظ والتعلم والعمل. اطلب العون من الناس حين تحتاج إليه، من غير أن تمنح أحداً منزلة من يملك أمرك استقلالاً. وارحُ فضل الله لنفسك دون أن تتمنى زوال نعمة غيرك.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾

(الكهف: ٤٢)

تكشف نهاية القصة هشاشة ما اغتر به صاحب الجنة، وتظهر حسرته حين ضاع ما أنفق فيه. وقد يضاف إلى ألم الخسارة ندم على غرور أو خطأ أسهم فيها.

لكن الخسارة ليست، بمجرد وقوعها، برهاناً على فساد صاحبها. فقد تقع على المحسن، وقد تتعدد أسبابها، وقد لا نعرف منها إلا بعضاً. فلنراجع ما نملك من عمل، دون الجزم بما لا نعلم من الحكمة والغيب.



التوصية

إذا خسرت، فامنح نفسك حق الحزن، ثم راجع ما حدث بصدق: ما انخطأ الذي تستطيع إصلاحه، وما الذي لم يكن بيدك؟ تُب من ذنب تبين لك، وتعلم من تقصيرك، واطلب العون؛ ولا تجعل الحسرة حكماً بأن حياتك قد انتهت.

وقف مع النفس

أي جزء من خسارتي يمكن أن أتعلم منه، وأي لوم أكرره بلا دليل؟

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ
فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾

(الكهف: ٤٥)

يضرب القرآن مثل الحياة الدنيا بماء ينزل من السماء، فينمو به نبات الأرض
ويزدهر، ثم يصبح هشيماً تذروه الرياح. مشهد يجمع جمال الإقبال وسرعة
الزوال، ويذكرنا ألا نعتر بمتاع نراه بين أيدينا، فتحسبه باقياً لا يتغير.

التوصية

ذكر نفسك بقصر الدنيا حين يغريك بريقها أو يشتد عليك فقد شيء منها.
لا لتزهّد في عمارتها أو تهوّن حقوق الناس، بل لتضع ما يمر بك في أفق
أوسع، وتستعمل ما بقي من وقتك في خير ينفعك وينفع غيرك.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ
الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾

(الكهف: ٤٦)

المال والبنون من زينة الحياة الدنيا، ولهما قيمة حقيقية في حياتنا، ويرتبط بهما
من الحقوق والمسؤوليات ما لا يجوز إهماله. وتلفت الآية إلى ما هو أبقي:
الأعمال الصالحة التي لا تنتهي ثمرتها بانتهاء المتاع.

تبقى للنعمة قيمتها والمصيبة آثارها، لكن أفق حياتنا أوسع من لحظة النعمة أو المصيبة. فإنا نستجيب به من شكر وعدل وصبر وإصلاح يدخل فيما نقدمه للآخرة، والله أوسع فضلًا من أن نحيط بجزائه.



التوصية

أحسن رعاية من تحب، واحفظ ما أُوتيت، واجعل لحياتك أفقًا يتجاوز ما في يديك. وإذا وقع الفقد، فلا تنكسر ألمه؛ استعن بالله، وخذ ما تستطيع من أسباب المعالجة. وفي النعمة والشدة معًا، ابحث عن الخير الذي يمكنك تقديمه الآن.

وقفة مع النفس

ما العمل الذي يبقى نفعه، ويمكنني أن أقدمه بما أملكه اليوم؟

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي
وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بُشِّرَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾

(الكهف: ٥٠)

تنكر الآية اتخاذ إبليس وذريته أولياء من دون الله، مع ما أعلن من عداوته للإنسان. فمن التناقض أن نعرف الإغواء ومصدره ثم نستجيب لما يفسد حياتنا.

وقد يبدأ ذلك بتسوية خطأ نعرفه، أو الاسترسال مع غضب يدعونا إلى الظلم. ومراجعة هذا التناقض تردنا إلى العهد الذي ذكرنا به القرآن: عبادة الله واجتناب الشيطان (يس: ٦٠-٦١)، بدل التماس الأعذار لكل ما نرغب فيه.



التوصية

راجع عملاً سيئاً وقعت فيه أو قاربت الوقوع فيه. سَمِّه باسمه دون تهويل أو تبرير، واستغفر الله، ثم أغلق مدخلاً من مداخله أو أصلح أثراً من آثاره. واقرن استعذتك بالله باستجابة عملية لما تبين لك من خير.



﴿وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾

(الكهف: ٥١)

ينفي السياق أن يكون هؤلاء قد شهدوا خلق السماوات والأرض أو خلق أنفسهم، وينفي اتخاذ المضلين أعواناً. والله غني عن كل عون؛ فلا يستحق من لا يملك الخلق والتدبير أن يُتَّخذ ولياً من دونه.

ومن هذا السياق نستلهم الحذر من نطلب عونهم في معاملتنا. فحسن القصد لا يعوض غياب الكفاءة، كما أن المهارة لا تعوض غياب الأمانة. فننظر إلى من نستعين بهم من جهة الكفاءة والأمانة معاً، ونراجع الخطأ بقدره، فلا نهدر إنساناً لعثرة، ولا نسلم له ما لا يحسنه.



التوصية

حين تطلب مشورة أو تسند عملاً، تحقق من الخبرة والأمانة، وحدد المهمة والصلاحية، وراجع النتيجة. واستأنس بالميزان القرآني: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦)، من غير أن تمنح أحداً طاعةً مطلقة لا تقبل المراجعة.



﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

(الكهف: ٥٤)

يصرّف القرآن الأمثال للناس، ومع ذلك قد تتحول قدرتنا على الجدل إلى وسيلة لحماية ما نريد، لا لفهم ما هو حق. وحينها نبث عن حجة تريخنا من المراجعة، ولو كنا ندرك ضعفها.

لكن الاختلاف ليس كله عناداً؛ فقد يكون سببه سؤالاً مشروعاً، أو دليلاً لم يتضح لنا، أو فهمًا يحتاج إلى تصحيح. والموضوعية أن نطبق هذا الاحتمال على أنفسنا كما نطبقه على غيرنا.



التوصية

افهم الفكرة ووازن أدلتها، واتبع ما يتبين لك من الحق، لا ما يوافق هواك لحسب: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

(الزمر: ١٧-١٨). وإذا تحول الحوار إلى خصومة لا تقدم فهمًا، فتوقف باحترام، دون أن تزعم العلم بنيات من خالفك.

وقفة مع النفس

ما الحجّة التي سأقبلها لو خالفت رأيي، وهل أترك لها مجالاً حقيقياً؟

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾

(الكهف: ٥٦)

تبين الآية وظيفة الرسل في التبشير والإنذار، وتكشف في سياقها جدل من يريدون دحض الحق. فالدعوة تعرض البيان وتوقظ المسؤولية، ولا يكون نجاحها بانتزاع موافقة ظاهرية بالإخضاع.

ومن ذلك نستفيد في نصيحتنا وتعليمنا: أن نوضح الخير وعواقب الخطأ، ونترك مجالاً للفهم والاعتناع، من غير إذلال أو ضغط عاطفي ينتزع موافقة لا يصدقها القلب.



التوصية

ادع إلى الخير واستمر في البيان حين ينفع، وتجنب إكراه الناس، ولو بالإجراج المعنوي، على قبول رأيك. وفي التربية، اجمع بين الرحمة وحدود السلوك العادلة؛ فلا يلزم من رفض الإكراه إهمال الحماية أو المسؤولية.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَلَمَّا
 مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي
 آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾

(الكهف: ٥٧)

تصف الآية إعراضاً عن التذكير بآيات الله مع نسيان ما قدمت اليدين. ومن
 وجوه مراجعتها في حياتنا أن نسأل: هل نقرأ ما يدعونا إلى الحق ثم نحجي
 عاداتنا من أثره؟

وفي ضوء ميثاق الفطرة في المشروع، ليس الرجوع اختراعاً لمعيار يوافق
 رغباتنا؛ بل هو تجدد في الوفاء لله واستجابة لما تبين من هديه. وقد توقظنا آية
 أو نصيحة أو نعمة، فلا نحتاج إلى أن نتألم أولاً حتى نراجع أنفسنا.^{١٧}

ولا يصير طلب المعرفة أو العلاج من أهل الاختصاص إعراضاً عن القرآن؛
 وإنما الخلل في رفض حق تبين لنا أو تبرير مخالفته.



التوصية

توقف عند ما يذكر بك به القرآن من حق تعرف أنك تؤخره. اطلب ما
 يلزم لفهمه، ثم ابدأ بخطوة صادقة، ولا تجعل كثرة القراءة بديلاً عن
 الاستجابة. وما لم يتبين لك، فاسأل عنه بدل أن تدعي معرفته أو تجزم
 برفضه.

وقفة مع النفس

أي تذكير يتكرر أمامي، وأصرفه عن نفسي لأن العمل به سيغير عادة أحبها؟

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ
بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾

(الكهف: ٥٨)

تفتح الآية باب الرجاء في مغفرة الله ورحمته، وتذكر أنه لا يعجل مؤاخذه الناس بكل ما كسبوا. فلا تكون الزلة نهاية الطريق، ولا يكون الإهمال إذناً بالاستمرار فيها.

النفس التي تأمر بالسوء يمكن أن نتوب وتتركن؛ فهي ليست نفساً أخرى نخلص منها، بل نحن الذين نراجع ما اتجهنا إليه ونستعين بالله على إصلاحه. والرجوع يظهر في التوبة ورد الحقوق والعمل، ولو احتاج تغيير العادة إلى وقت.



التوصية

ارفق بمن حولك، وانصحهم وساعدهم على التصحيح. وإذا أخطأ أحد، فميز بين خطئه وقيمه الإنسانية، وامنحه فرصة عادلة للإصلاح، دون إهمال حقوق المتضررين. وافعل مع نفسك مثل ذلك: لا تبرر الذنب، ولا تغلق باب الرجوع.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾

(الكهف: ٦٠)

يضرب موسى (ع) مثلاً في العزم على طلب المعرفة: لا يبرح حتى يبلغ مقصده، ولو طال الطريق. وهو نبي كريم، ومع ذلك يسعى إلى ما يزيده رشدًا.

فلا تجعل ما تعلمته سبباً للاكتفاء، ولا منزلتك حائلاً دون السؤال. ومع السعي، تذكر أن الاستعداد للتعلم ليس قدرة مكتملة؛ إنما تنمو القدرة بالتعلم والممارسة وما يتاح من وقت وعون.



التوصية

حدد معرفة أو مهارة تحتاج إليها، وضع لها برنامجاً يناسب واقعك. اسأل: ما الذي أستطيع البدء به، ومن يعينني، وكيف أعرف أنني تقدمت؟ اجعل الخطوة قابلة للمراجعة، ولا تقارن سرعتك بمن يملك ظروفًا واستعدادات مختلفة.

وقف مع النفس

ما القدرة التي أحتاجها الآن، وما أول خطوة عملية لاكتسابها؟

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا
فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾

(الكهف: ٦١)

تذكر الآية اتخاذ الحوت سبيله في البحر، ثم يبين السياق أن تذكر موضع فقدته قادهما إلى الرجوع، وهناك وجدا العبد الصالح (الكهف: ٦٣-٦٥). تأخذنا القصة إلى ما يتجاوز المألوف من خبرتنا، وتذكرنا بأن ما نراه لا يستوعب كل ما يقع، وأن بعض الحقائق قد تخفى علينا.

لكن الإيمان بالغيب لا يعني قبول كل دعوى غيبية، أو ترك التثبت مما يُنقل إلينا. نؤمن بما ثبت من الوحي، ونعترف بحدود معرفتنا، ولا نملاً ما نجهله بحكايات لا دليل عليها.

التوصية

اعمل بما تعرفه من أسباب، واعترف بما لا تعرفه. فهناك عوامل تؤثر في حياتك لا تحيط بها ولا تملكها، ولذلك تحتاج إلى التوكل والدعاء، وإلى التواضع في الحكم والاستعداد لتصحيح فهمك.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾
 وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾

(الكهف: ٦٧-٦٨)

يربط كلام العبد الصالح صعوبة الصبر بعدم الإحاطة بحقيقة ما يجري: فالحكم على الحدث يتأثر بما نعرفه عنه، وقد يخفى علينا ما يغير فهمنا له.

المعرفة إذن مهمة في توجيه الاستجابة، لكنها ليست كل ما يصنع السلوك. فقد يفهم الإنسان ثم يتردد، أو يقبل الحق ويحتاج إلى تدريب حتى يحسن العمل به؛ كما تتأثر استجابته بحال بدنه وخبرته وظروفه.



التوصية

حين تريد اكتساب سلوك أو مهارة، فافهم معناها أولاً، ثم تدرب عليهما في موقف تستطيع خوضه. وراجع ما يعوقك: أهو نقص معرفة، أم حاجة إلى ممارسة أو مساندة أو تعديل في البيئة؟ لا تنتظر أن يحل الفهم وحده محل العمل.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ
أَخْرِقْهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾

(الكهف: ٧١)

تكشف خاتمة القصة أن خرق السفينة كان لحماية من ملك يأخذ السفن غصباً. فما بدا لموسى (ع) ضرراً انكشف له وجه مخصوص من الحكمة فيه (الكهف: ٧٩).

تعلمنا القصة التواضع أمام ما لا نعرفه، لكنها لا تخبرنا بأن كل ما يقع لشخص هو أفضل نتيجة دنيوية له. ولا تبيح لنا تعيين حكمة كل مصيبة، أو مطالبة المظلوم بالرضا عن ظلم من اعتدى عليه.



التوصية

اسعَ إلى الأفضل بما تعرفه، وثق بعدل الله ورحمته فيما غاب عنك. وإذا أصابك ما تكره، فاجمع بين الدعاء ودفع الضرر، ولا تتكلف تفسيراً غيبياً يطمئنك لحظة ثم يقيدك عن الإصلاح. قد لا تعرف الحكمة الخاصة، ومع ذلك تستطيع أن تفعل خيراً.

وقف مع النفس

هل أحتاج إلى معرفة سبب غيبي لما حدث، أم إلى اتخاذ خطوة ممكنة لحفظ نفسي أو إصلاح واقعي؟

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ
لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾

(الكهف: ٧٢-٧٣)

يطلب موسى (ع) ألا يؤاخذ بالنسيان وألا يرهق من أمره عسراً. وفي هذا الحوار ما يذكرنا بالحاجة إلى الرفق، وإلى ألا يتحول التعلم إلى استنزاف للإنسان.

وقد يضعف صبرنا تحت وطأة البلاء، فنحتاج إلى مهلة وعون. لا يعني الألم أننا فقدنا الإيمان، ولا يشترط صدق التوكل أن يشعر الإنسان بالرضا الكامل في كل لحظة. وقد عرف الأنبياء ألم الابتلاء وهم قرييون من الله؛ وفي القرآن دعاء أيوب (ع): ﴿إِنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣).



التوصية

خفف عن نفسك مقاومة ما مضى مما لا تستطيع رده، مع استمرارك في معالجة ما يمكن تغييره. استعن بالله، واسمح لمن تثق به أن يعينك، ولا تحرم نفسك العلاج أو الراحة. وإذا أخطأت تحت الضغط، فتب وأصلح، بدل أن تحول التعثر إلى يأس.

وقف مع النفس

ما العون الذي أحتاج إليه الآن، وما الذي يمنعني من طلبه؟

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي
نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾

(الكهف: ٧٤)

فوجئ موسى (ع) بقتل الغلام، فأنكر ما ظهر له من قتل نفس زكية بغير نفس. لقد تكلم وفق ما ظهر له من الحق؛ فلا يصح أن نجعل القصة دعوة إلى السكوت عن الاعتداء.

وتقيّد القصة فعل العبد الصالح بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف: ٨٢). وهذه خصوصية لا يملك أحد أن يتذرع بها ليعتدي بدعوى حكمة خفية أو علم بالباطن.^{١٨}



التوصية

واجه ما تراه من أذى بعقل وعدل، واطلب التثبت والحماية المناسبة. لا تعطل مسؤوليتك أمام من يدعي أن وراء تصرفه سرًّا لا تفهمه. الثقة بالله لا تمنح بشرًا حق تجاوز حقوق الناس أو إسكات السؤال عنها.

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا
تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾

(الكهف: ٧٦)

يحدد موسى (ع) هنا شرطًا لاستمرار الصحبة، ويقر بأن العبد الصالح قد بلغ من لدنه عذرًا. فيبقى التعلم مرتبطًا بوضوح الالتزام والصدق في مراجعته، لا بالمكبرة أو إبقاء الشروط بلا أثر.

ومن هذا الموقف نستفيد أن الاعتراف بحدود ما نستطيع في موقف معين ليس إلغاءً لقيمتنا. فقد نحتاج إلى تعلم أو مهلة، وقد نحتاج إلى مراجعة اتفاق لم نعد قادرين على الوفاء به. والصدق في ذلك أكرم من مكبرة تزيدنا عناءً.



التوصية

كن صادقًا في التزاماتك: لا تعد بما تعلم أنك لا تطيقه. وإذا تغيرت قدرتك أو ظروفك، فصارح من وعده واطلب تعديل الالتزام مع حفظ حقه. وحين نتعلم، فاطلب بيان ما يشكل عليك وافق على حدود واضحة؛ فالتواضع لا يقتضي إلغاء عقلك أو تحميل نفسك ما تعجز عنه.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا
فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ
يَنْقُضَ فَاقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ﴾

(الكهف: ٧٧)

رفض أهل القرية ضيافة موسى وصاحبه، ثم أقام العبد الصالح جداراً
أوشك على السقوط. وتكشف خاتمة القصة أن وراءه حقاً لغلامين يتيمين
سيبلغان أشدهما.

يمكن أن نستفيد من ذلك ألا تحملنا إساءة بعض الناس على تضييع حق
غيرهم، وألا نحصر قيمة العمل في ثمرة عاجلة تعود علينا. فقد يحفظ عمل
صغير اليوم منفعةً لا تظهر إلا بعد حين.

التوصية

قبل أن ترد على إساءة، أسأل: من سيتأثر بردك؟ احفظ الحقوق، وفكر في
العواقب القريبة والبعيدة. وليس معنى الإحسان أن تسمح باستغلالك؛
بل ألا تجعل الغضب مبرراً لإيذاء من لا ذنب له.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ
فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
غَضَبًا ۖ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ
يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا
مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۖ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ
يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ۖ﴾

(الكهف: ٧٩-٨٢)

تكشف هذه الآيات وجوه الحكمة في وقائع السفينة والغلام والجدار. وقد كشف العبد الصالح لموسى (ع) ما لم يكن يعلمه، فظهر أن ما بدا من المشهد لم يكن يكشف حقيقته كلها.

تدعونا القصة إلى التواضع أمام علم الله، لكن هذا الكشف المختصر لا يجعلنا مطلعين على بواطن كل حادثة. وما نجهله لا يعيننا من السعي وفق ما نعلم من حق وعدل وأسباب.



التوصية

ثق بالله أكثر من ثقتك بإحاطتك المحدودة، من غير أن تتوقف عن التعلم والتخطيط. أحسن رعاية مالك وأهلك، وادع لهم بالخير، ولا تحول احتمال الفقد أو الضرر إلى خوف دائم عليهم. فالتوكل يسند الرعاية، ولا يحولها إلى توقع دائم للأسوأ.



﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾

(الكهف: ٨٢)

يصرح العبد الصالح بأنه لم يفعل ما فعل عن أمره. فتُفهم الوقائع في خصوصيتها التي كشفها الوحي، ولا تُتخذ ذريعة لمن يزعم لنفسه تكليفاً خفياً يخالف به العدل.

وتظهر في القصة عناية تتصل بمصالح دنيوية: حفظ مورد عيش وحفظ حق يتيمين. تذكرنا هذه الوقائع بأن عناية الله تشمل حياة الإنسان هنا، ولا تنحصر فيما بعد الموت؛ لكنها لا تمنحنا وعداً بأن كل ما نتمناه في الدنيا سيتحقق.



التوصية

ارجع عناية الله وأنت تدعوه وتسعى، ولا تحصر الاستجابة في صورة واحدة رسمتها لنفسك. وخذ بما تعرفه من وسائل الحفظ والإصلاح، ولا تجعل خفاء بعض الحكمة باباً لتعطيل المسؤولية أو تصديق من يدعي العلم بها.

﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

(الكهف: ٨٢)

بعد انكشاف الخبر، عرف موسى (ع) ما لم يكن محيطاً به. وفي ذلك ما يذكرنا بأن معرفتنا الجزئية لا تحيط بما يعلمه الله، وبأن ثقتنا بحكمته لا تتوقف على إحاطتنا بكل تقدير.

لكن السؤال عن معنى أو طلب رفع الضرر ليس رفضاً لله. ويجب أن نميز بين وقوع شيء بمشيئة الله وبين رضاه عن فعل المعتدي؛ فقد يقع الظلم، ويبقى ظلماً ندعى إلى دفعه لا تبريره.

التوصية

سل الله الفهم والتبیت، واستجب لما ثبت لك من هديه. وإذا لم تفهم ما أصابك، فلك أن تحزن وتسأل وتطلب الفرج. اجعل التسليم ثقةً بالله تعينك على العمل، لا إلزاماً لنفسك بالرضا عن العدوان أو الصمت عليه.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾

(الكهف: ٨٣)

يفتح القرآن الحديث عن ذي القرنين بسؤالٍ عن خبره، ثم يعرض ما آتاه الله من تمكين وأسباب، وكيف استعملها. والمهم في موضع التدبر أن القوة اتصلت بالعمل والمسؤولية، لا بمجرد الفخر بما امتلك.

وقد نُقل في بعض الروايات أنه عبد صالح لا نبي.¹⁹ ومهما اختلف الباحثون في شخصيته ومقامه، يبقى ما يعرضه القرآن من عمله مجالاً للتدبر في حسن استعمال ما نُؤتي من أسباب.



التوصية

لا تستخف بما تستطيع من خير. اعمل على الإصلاح في محيطك، ووسّع معرفتك وقدرتك بقدر ما يتاح لك، مستعيناً بالله. ولا تنتظر أن تصبح صاحب شأن كبير حتى تبدأ؛ فقد تكون مسؤوليتك اليوم محدودة، لكنها حقيقية.



﴿إِنَّا مَكَّأ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۖ فَاتَّبَعِ سَبَبًا﴾

(الكهف: ٨٤-٨٥)

تذكر الآيتان ما آتاه الله من تمكين وأسباب، ثم تذكران اتباعه سبباً. فلم يقف عند ما أُوتي، بل عمل به؛ فامتلاك الوسيلة لا يغني عن حسن استعمالها.

وحين نقرأ القصة إلى جانب قصة موسى والعبد الصالح، نرى مجالاً للجمع بين الإيمان بما غاب عنا وحسن العمل بما ظهر لنا. هذا الجمع يوجه السعي، ولا يعني أن كل حركة في الحياة عبادة مكتسبة أو نمو محمود؛ فالعمل يُنظر فيه إلى أثره وقصده ومدى عدله.



التوصية

اجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب: تعلّم ما يحتاجه عملك، وخطط وأتقن وتعاون، واجعل قدرتك في خدمة الحق. وحين تعجز وسيلة، فابحث عن غيرها مما تطيق؛ لا تجعل الغيب عذراً لترك الأسباب، ولا تجعل الأسباب حجاباً عن الله.

وقفة مع النفس

ما السبب المتاح الذي لم أتّبعه بعد، مع أنني أكثر الكلام عن الهدف؟

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ

عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾

(الكهف: ٩٠)

تعرض القصة انتقال ذي القرنين إلى أقوام تختلف أحوالهم، ثم تذكر تعاونه مع قوم احتاجوا إلى حماية من الفساد (الكهف: ٩٣-٩٧). فاستعمال القوة لا ينحصر في منفعة صاحبها أو من يشبهونه.

ومن هذا نستلهم اتساع المسؤولية الإنسانية: أن نفع من نستطيع نفعه، وألا تمنعنا اختلافات اللغة أو الأصل أو البلد من إدراك حاجة الناس وكرامتهم.



التوصية

ابدأ بما تستطيع من خدمة في محيطك، ووسّع دائرة اهتمامك دون أن تحمل نفسك مسؤولية العالم وحدك. تعاون مع غيرك في خير معلوم، واحترم خبرات الناس وحاجاتهم، ولا تجعل حب جماعتك حاجزاً يحجب عنك إنسانية الآخرين.



﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾

(الكهف: ٩٩)

تذكر الآية مشهد الجمع عند النفخ في الصور، فترد الحياة اليومية إلى أفق اللقاء والحساب. ما نفعله ليس مقطوعاً عن عاقبته، وما نعيشه الآن ليس الفصل الأخير من وجودنا.

والتذكير بهذا الأفق يحمل معنى المسؤولية والرجاء، لا دعوة إلى العيش في رعب دائم. وفي تربيتنا لأنفسنا وأبنائنا، نحتاج إلى بيان العواقب مع الرحمة، لا إلى تصوير مستقبل لا يعرفون فيه إلا الجوع والشقاء إن تعثروا.



التوصية

استحضر لقاء الله بما يعينك على الوفاء بحق اليوم. وحين توجّه ابناً أو طالباً، بين أثر عمله، وافتح أمامه سبل التعلم والتصحيح، وأشعره بأن قيمته لا تنتهي عند نتيجة دراسية أو إخفاق عارض.



﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ
ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾

(الكهف: ١٧)

تصف الآية حال من حُجبت أعينهم عن ذكر الله فلم ينتفعوا بآياته. وهذا وصف للإعراض عن الهداية، وليس حكماً أخلاقياً على من فقد بصره أو سمعه عضوياً.

ومن مواضع التدبر أن ما نكرر توجيه انتباهنا إليه، وما نعتاده، يؤثران في طريقة رؤيتنا. فقد نستغرق في منفعة أو خصومة حتى لا ننتبه إلى ما حولنا من حق وخير وجمال. ومعرفة هذا الأثر تفتح مجالاً للمراجعة ما نغذي به وعينا، إلى جانب العناية بأبداننا وظروف حياتنا.



التوصية

راجع ما تلقاه وما تكرره من كلام وصور. قل ما يغذي الحقد والتحقير، وأفسح مجالاً لمعرفة موثوقة وتأمل ورحمة وعمل نافع. ولا تقمع حزناً أو

خوفًا طبيعيًا باسم الإيجابية؛ افهمه، وتعامل مع أسبابه، واطلب العون حين تحتاجه.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

(الكهف: ١٠٣-١٠٤)

تحذر الآيتان من سعي يضل صاحبه وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ويبين السياق التالي صلاته بالكفر بآيات الله ولقائه. فلا يكفي اطمئنان الإنسان إلى رأيه حتى يكون على حق.

ويفتح ذلك باباً لمراجعة ميلنا إلى التبرير: أن نعيد تسمية الخطأ حتى يستقيم مع الصورة التي نريدها لأنفسنا. لكن المخطئ المتحري الذي لم يتبين له الحق ليس كمن يتعمد رفضه؛ والله يعلم ما بلغه وما استطاع فهمه وعمله.

التوصية

إذا غلبتك عادة سيئة، فلا تسمّها فضيلةً هرباً من ألم الاعتراف بها. استغفر، واطلب العون، وأصلح ما تستطيع، وإن تكرّر التعثر. وقد تبقى مشقة الرجوع بعد صدق التوبة؛ فاستمرار الألم لا يثبت استمرار الإعراض، كما أن زوال الألم لا يثبت أنك أصلحت ما يلزم.

وقفة مع النفس

هل أراجع فعلي في ضوء الحق، أم أغير وصف الحق حتى أحيي صورة نفسي؟

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
خَفِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾

(الكهف: ١٠٥)

يبين السياق أن الخسران المذكور متصل بالكفر بآيات الله ولقائه وحبوط العمل. فالإنجاز الظاهر ليس وحده معيار القيمة الأخروية؛ للوجهة والإيمان والنية شأن لا يختزل في المال أو النفوذ أو الشهرة.

ولا يمنحنا هذا علماً ببواطن الأفراد أو مآلاتهم، ولا يبيح أن نسمي غفلة المسلم أو تقصيره كفرةً اعتقاديًا. نراجع أعمالنا، ونحكم على الفعل بما ظهر لنا، ونزد علم السرائر والحكم النهائي إلى الله.



التوصية

لا تجعل خفاء عملك أو قلة مالك سبباً لاستصغار نفسك. اغتم ما تستطيع من صدق وإحسان وإتقان، واجعل رضا الله غايتك. واحذر أن يشغلك وزن الناس عن إصلاح نفسك؛ فما ترجوه من فضل الله لا يحتاج إلى أن تحط من قدر غيرك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾

(الكهف: ١٠٧)

يربط القرآن بين الإيمان والعمل الصالح، ويبشر أصحابهما بالجنة. وتشمل الصالحات الشعائر، كما تشمل الوفاء بالحقوق، وخدمة الناس، وطلب العلم النافع، والإتقان، وعمارة الحياة بالعدل؛ فلا يحصرها المؤمن في جانب واحد من حياته.

قد يكون العمل صغيراً في أعين الناس، لكنه نافع صادق. وقد يكون كبيراً في مظهره، ثم تفسده وسيلته أو نيته. فلا يكفي الحماس للإنجاز؛ لا بد من مراجعة ما ننجزه وكيف ولماذا.

التوصية

انطلق في الحياة بطموح وخطة وعمل، واجعل سعيك إلى الحلال ونفع الناس منطلقاً من إيمانك بالله. واستحضر أن عبادته يمكن أن توجه حياتك كلها: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾

(الكهف: ١٠٨)

حين تتصور الخلود في الجنة، قد نسقط عليه مللنا من التكرار في الدنيا، فنتساءل: كيف لا تسأم النفس حياة لا تنتهي؟ لكن هذا السؤال ينقل حدود خبرتنا إلى نعيم أخبر الله أن أهله لا ييغون عنه تحولاً.

وصف القرآن نعيمًا حسيًا حقيقيًا، فلا نختزله في الرمز ولا نقلل من قدره. وذكر كذلك الرضوان وما يتجاوز علمنا: ﴿وَرِضْوَنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (التوبة: ٧٢)، و﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٧).

وفي الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^{٢٠}. فليس ما نتخيله الآن مقياسًا لما أعده الله، ولا يلزم من الخلود رتابة النعيم أو نفاد معناه.

ويفتح قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق: ٣٥) باب الرجاء فيما لا نحيط به. نظمئن إلى وعده بالمزيد، ولا نحصر فضله في صورة رسمها خيالنا؛ فصور ذلك النعيم وكيفياته أوسع مما نعرفه في حياتنا المحدودة.

ليست الدنيا وهماً بلا حقيقة؛ هي حياة نعمل فيها ونحب وتأنم وتتكون. لكن الآخرة أكمل وأبقى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: ٦٤). وما نكتسبه من خير في الدنيا ليس عبثاً يضيع، بل نقدمه للقاء الله راجين فضله، من غير أن ندعي الإحاطة بتفاصيل الغيب.



التوصية

اجعل الجنة ورضوان الله أفق رجائك، ودع هذا الرجاء يثر في حياتك اليوم: عبادةً، ومحبةً، وعدلاً، وعملاً نافعاً. لا تنتقص نعيم الآخرة لأن خيالك لا يحيط به، ولا تهمل الدنيا التي تعمل فيها طلباً له.



﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾

(الكهف: ١٠٩)

تفتح الآية الأفق أمام سعة كلمات الله، حتى لا نظن أن ما أدركناه يستوعب علمه وحكمته. ويتصل بها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ (لقمان: ٢٧).

ليس المقصود تحديد عدد الموجودات أو تقديم قياس علمي لحجم الكون، بل بيان سعة كلمات الله التي لا تستنفدها وسائلنا المحدودة. وهذه السعة تدعونا إلى طلب المعرفة مع التواضع، لا إلى إبطال قيمة ما نعرفه.



التوصية

تعلم وابحث، واعرف أين ينتهي علمك. لا تجعل عجزك عن تفسير أمر دليلاً على عبثه، ولا تسد باب السؤال بدعوى أن العقل لا قيمة له.

فالعقل الذي يعرف حدوده أقدر على التعلم من عقل يتوهم أنه أحاط بكل شيء..

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ
إِلَهُ وَحِدٌ ۖ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ۖ فَلْيَعْمَلْ
عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا﴾

(الكهف: ١١٠)

تجمع خاتمة السورة أصولاً كبرى: بشرية الرسول الذي يوحى إليه، ووحداية الله، ورجاء لقاءه، والعمل الصالح وإخلاص العبادة له.

بعد قصص تتنوع فيها صور الإيمان والابتلاء والتمكين، يعود الخطاب إلى ما يوجه حياة كل واحد منا. فلا تضيع الغاية في تفاصيل الطريق، ولا يبقى التوحيد اعتقاداً معزولاً عن الاختيارات التي تشكل أيامنا.



التوصية

استحضر هذه المعاني في بداية يومك أو نهايته. اقرأ الآية متأملاً، ثم صلها بموقف تعيشه: أين أحتاج إلى إخلاص النية، وما العمل الصالح الذي أستطيعه؟ اجعل التذكر بداية استجابة، لا مجرد ترديد لا يلامس حياتك.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾

(الكهف: ١١٠)

يقرر القرآن بشرية الرسول (ص) مع خصوصية الوحي. فنحنه ونعظمه ونتبعه، من غير أن نخرجه عن مقام العبودية لله أو نجعل له شيئاً من خصائص الألوهية.

وبشريته تفتح لنا معنى الاقتداء به؛ لكنها لا تثبت تساوي الناس في استعداداتهم أو إمكان بلوغهم مقامه وخصائصه. نتأسى به فيما دُعينا إليه، ونسعى إلى الكمال بحسب ما أوتينا من قدرة ووسع.

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي: «وأنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك». ^١ فبدل أن ننشغل بمقارنة المقامات، فلنراجع ما يجب قلوبنا من غفلة أو ظلم، ولنفتح بالعمل الصالح طريقاً أصدق إلى الله.



التوصية

احترم نفسك بتهذيبها وتنمية قدراتها، واحترم الناس لبشريتهم. واختر خلقاً من أخلاق الرسول (ص) تجسده في موقف قريب: صدقاً أو رحمةً أو أمانةً. فالإقتداء عمل ممكن، لا مطالبة لنفسك بمساواة مقام النبوة.

وقفة مع النفس

ما الخلق الذي أستطيع الاقتداء فيه اليوم، بدل الاكتفاء بالإعجاب والحديث عن العظمة؟

﴿أَتَمَّ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدٌ﴾

(الكهف: ١١٠)

التوحيد أساس الرؤية الإسلامية وروحها: أن نعرف الله ربًّا، ونجعل عبادته غايتنا، وتنظم به وجهتنا في الحياة.

وفي ضوء ميثاق الفطرة، لا يُراد لهذا الإقرار أن يبقى معرفة ساكنة، بل أن يتجدد أثره وفاءً في العمل. ومع الممارسة الصادقة تدخل معاني الإيمان في تكوننا، من غير أن يحدث ذلك آلياً أو يلغي اختلاف استعداداتنا وظروفنا.

التوصية

استحضر وحدانية الله في مواقفك، لا في ألفاظك وحدها. وإذا أردت تنمية قدرة، فتعلم وتدرّب وخذ بالأسباب، واجعلها في خدمة الخير. توكل على الله، وأقبل على العمل الممكن بإرادة وشغف، راجياً أن يفتح لك من فضله ما لا تحيط به الآن.

﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ۖ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا
صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا﴾

(الكهف: ١١٠)

تربط الآية رجاء لقاء الله بالعمل الصالح وإخلاص العبادة له. فالرجاء ليس أمنية تعوض الفعل، وإنما أفق يوجهه ويمنحه معناه.

وفي هذا ما يلهمنا التوازن في التربية: نبين عواقب الخطأ، ونفتح في الوقت نفسه باب الأمل والنجاح والتصحيح. لا نحتاج إلى تهديد الابن بمستقبل بائس حتى يفهم قيمة ما يتعلمه.



التوصية

اكتشف ما يحرك فضول من تربيته، وما لديه من اهتمام وقدرة، وساعده على ربط التعلم بمستقبل نافع. ضع توقعات واضحة وممكنة، وبين أثر التقاعس دون إذلال. وإن تعثر، فابحث معه عن السبب والخطوة التالية، بدل أن تجعله يشك في قيمته أو يخاف من حياته كلها.

﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾

(الكهف: ١١٠)

يفتح قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ مجالاً واسعاً للخير. وليس العمل الصالح قلباً واحداً للطباع والمهن؛ فإلى جانب الواجبات، تتنوع ميادين النفع بحسب القدرات والفرص والحاجات.

وقد عرضت السورة شخصيات مختلفة: فتية الكهف، والصاحب المؤمن، وموسى والعبد الصالح، وذا القرنين. لا يلزم من صلاحهم تماثل طباعهم أو أعمالهم، ولا من اختلافهم أن يصير الميل الشخصي وحده معيار الصلاح.

فالشغف يعين على السعي، لكنه لا يغني عن تعلم ما يحتاجه العمل، ولا يعفينا من واجب لا نميل إليه.

التوصية

اختر من ميادين الخير ما يلتقي فيه اهتمامك بقدرة تستطيع تمييزها وحاجة حقيقية تنفع فيها. جرب وتعلم، وراجع اختيارك إذا تغيرت ظروفك؛ ولا تحبس نفسك في صورة واحدة لما ينبغي أن يبدو عليه الإنسان المؤمن.

وقفة مع النفس

أين يلتقي ما أحبه بما أستطيع تعلمه وبحاجة أقدر على الإسهام في قضائها؟

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

(الكهف: ١١٠)

تجمع خاتمة السورة بين صلاح العمل وإخلاص العبادة. فلا يكفي أن نحصي أعمالنا ونغفل عن نياتنا وحقوق الناس فيها، كما لا يغني حسن القصد عن تصحيح الفعل.

وقد روي في فضل العلم: «ركعتان يصليهما العالم أفضل من ألف ركعة يصلها العابد»^{٢٢} ويذكرنا المعنى هنا بأثر المعرفة في حسن العبادة، من غير أن نجعل عدد الركعات أو لقب العالم مقياساً آلياً لمفاضلة الأشخاص.

والمقصود ألا نعزل الإيمان في وقت الصلاة ثم نترك بقية الحياة لأهوائنا. وليس العمل في شأن دنيوي أو الفرح بإنجاز شرّاً في ذاته؛ بل يمكن أن يكون من عبادة الله حين يصلح العمل وتصدق الوجهة.



التوصية

اجعل التوحيد حاضراً في نيتك وعملك وحلمك. وفي ختام هذه الرحلة، لا تسأل فقط: كم قرأت؟ بل اسأل: ما الذي صار أصدق في حياتي؟ ابدأ بما تبين لك وتستطيعه، واستعن بالله، وارجع إليه كلما تعثرت؛ فباب العمل لم يُغلق بانتهاء الكتاب.



وقفة مراجعة بعد سورة الكهف

ما الذي أصبح أوضح؟

تنقلت مع السورة بين الإيمان والابتلاء والحوار والتمكين ورجاء اللقاء. فارجع الآن إلى حياتك: أين وجدت نفسك بين هذه المعاني، وما الذي تريد أن يبقى معك منها؟

هل اتسع رجائي دون أن يضعف عملي؟

انظر إلى حديثك مع نفسك: هل يدفعك الرجاء إلى الاستجابة، أم يؤجلها؟ وهل ينهك الخوف إلى الخطأ، أم يحجب عنك إمكان الرجوع؟

كيف أتعامل مع ما لا أعرف حكمته؟

هل أواصل السؤال والسعي مع الثقة بالله، أم أتوقف حتى أجد تفسيراً لكل ما أصابني؟ ما السبب العملي الذي ينبغي أن آخذ به ولا أؤخره؟

ما الذي تغيّر في حوارِي مع المختلف عني؟

تذكر نقاشاً قريباً. هل كنت تبحث عن الحق وتريد الخير، أم تحمي صورتك وتطلب الغلبة؟ وكيف تعود إلى الكلمة الأحسن؟

ليس المطلوب إجابات جميلة أمام الآخرين، بل إجابة صادقة تفتح لك طريقاً إلى العمل.

ما الذي ستصاحبه إلى حياتك؟

الكتاب ينتهي، والوفاء يتجدد

لن تصبح الحياة خالية من العوائق لأنك أتممت القراءة. لكنك تستطيع أن تخرج منها بمعنى أوضح وخطوة أصدق، وأن تعود إلى ما قرأت كلها تغيرت ظروفك أو احتجت إلى التذكير.

أي تبرير صرت أقدر على ملاحظته؟

قد لا يكون التغيير أنك تركت الخطأ كله، بل أنك لم تعد تسميه صواباً. ما الإصلاح الممكن، وأي حق ينبغي رده؟

ما مجال الخير الأنسب لخطوتي التالية؟

اجمع بين ما تحبه، وما تستطيع تعلمه، وحاجة حقيقية تنفع فيها. لا تقارن طريقك بطريقة غيرك، ولا تجعل الشغف بدلاً عن الواجب.

كيف أجعل معرفتي ونيّتي وعملي أصدق معاً؟

اختر التزاماً واحداً يحفظ وجهتك: عبادة، أو خدمة، أو تعلماً، أو وفاءً بحق. وحدد ما يعينك عليه وكيف تراجع أثره.

احمل من الكتاب ما يوقظ حياتك، لا ما يزيد قسوتك على نفسك. اشكر الله على ما فتح لك، واستعن به على ما بقي، وارجع إليه كلما تعثرت.



حواشي المصادر والتنبيهات

تجمع هذه الحواشي مواضع النقول وحدود بعض الاستichاءات. أرقام الآيات مثبتة في المتن، وأرقام الحواشي تحيل إلى هذه الصفحات. ثبتت الإحالة وجود النص في المصدر؛ أما صحة الإسناد فلا تُفهم من مجرد العثور عليه.

نصوص القرآن الكريم

وُحِّدَت الآيات والمقاطع القرآنية وفق نص رقي بالرمس العثماني، مع المحافظة على حدود المقاطع المختارة ومراجعة إحالاتها. تفصل العلامة «﴿﴾» بين الآيات حين يجمع الاقتباس أكثر من آية، والمقاطع المقتبسة ليست دائماً آيات كاملة.

مصدر المقابلة الرقية: ملف النص بالرسم العثماني في حزمة quran، الإصدار ٢٠٢٣، بتاريخ ٧ سبتمبر ٢٠٢٤، والمتاح عبر CTAN. قوبلت به الآيات والمقاطع المقتبسة، مع مراعاة علامات الوقف وحدود الاقتباس، وروِجت الإحالات في سياقها. وهذه بيانات مصدر تقني للمقابلة، لا تفسير للنص.

بيانات المصدر الرقمي

١ القرآن في نهج البلاغة

نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، الخطبة ١٧٦، مقاطع من الكلام في فضل القرآن، نقلت باختصار مع علامات الحذف. يذكر السياق الشفاء من الكفر والنفاق والغي والضلال؛ فلا يُجعل هذا النقل وحده دليلًا على الاستغناء عن علاج الأمراض.

المصدر الإلكتروني

٢ عودة أثر الإحسان والإساءة

الطبري، جامع البيان، تفسير الإسراء: ٧. تتعلق عودة الإحسان والإساءة إلى النفس بعاقبة عملها؛ ولا يلزم من ذلك نفي ما يوقعه العمل من نفع أو ضرر بالآخرين.

المصدر الإلكتروني

٣ العجلة والدعاء بالشر

الطبري، جامع البيان، تفسير الإسراء: ١١؛ يذكر دعاء الإنسان على نفسه وولده وماله بالشر ساعة الغضب، استعجالاً كدعائه بالخير. والانتقال من هذا المعنى إلى التروي في طلب ما نجعل عاقبته هو تطبيق تدري، لا دعوى بأنه الوجه الوحيد للآية.

المصدر الإلكتروني

٤ الترف والفسق في سياق الآية

الطبري، جامع البيان، تفسير الإسراء: ١٦؛ يعرض الأقوال في «أمرنا مترفها»، ومنها الأمر بالطاعة نخالفوا إلى الفسق. والتطبيق الأخلاقي في المتن متعلق بسوء استعمال النعمة والقدرة، وليس حكمًا بفساد كل ذي مال.

المصدر الإلكتروني

٥ السعي المشكور

الطبري، جامع البيان، تفسير الإسراء: ١٩؛ يفسر شكر الله للساعين بحسن الجزاء على العمل الصالح والتجاوز عن السيئات برحمته. أما التعبير الوجداني في المتن عن سعة الرجاء فهو استيحاء من هذا المعنى، لا نقل حرفي عن المفسر.

المصدر الإلكتروني

٦ الدعوة بالإمام

الطبري، جامع البيان، تفسير الإسراء: ٧١. يورد أقوالاً في معنى «بإمامهم»، منها: من أتموا به، ومنها: كتاب الأعمال. اختير للوقفة المعنى الأول للتدبر في الاقتداء، دون دعوى انحصار تفسير الآية فيه.

المصدر الإلكتروني

٧ التهجّد والمقام المحمود

الطبري، جامع البيان، تفسير الإسراء: ٧٩. الخطاب للرسول (ص)، والوعد بالمقام المحمود متعلق به. أما التوصية بالخلوة للعبادة وحضور القلب فلا تتضمن تعميم هذا المقام على القارئ. وتستأنس الوقفة كذلك بآيتي المزمّل: ٦-٧.

المصدر الإلكتروني

٨ الشفاء والهداية والعلاج

يراجع سياق الإسراء: ٨٢، وما تقدم في الحاشية الأولى عن نهج البلاغة. ولتمييز الهداية عن العلاج المتخصص، تراجع نشرة منظمة الصحة العالمية «الاضطراب الاكتئابي (الاكتئاب)»، ٢٩ أغسطس ٢٠٢٥، وهي تبين تفاعل عوامل اجتماعية ونفسية وبيولوجية، وتعرض إمكانات العلاج. لا يقصد الكتاب تشخيص حالة فردية أو إحلال التدبر محل الرعاية المتخصصة.

المصدر الإلكتروني

٩ الشاكلة ووحدة النفس

الطبري، جامع البيان، تفسير الإسراء: ٨٤؛ يورد في الشاكلة معاني الطريقة والنية والوجهة. أما قراءة الجسد والقلب والعقل والروح بوصفها جهات للنفس الواحدة، وعلاقة التزكية بتصادقها، فن البناء التفسيري للمشروع؛ يراجع «نظرية النشأة الإسلامية»، ولا سيما مداخل «وحدة النفس» و«الصدق الذاتي» في معجمه المرجعي، ومباحث النفس في «الذات الخالدة». ولا تُنسب هذه الصياغة الاصطلاحية إلى لفظ الآية أو إلى الطبري.

المصدر الإلكتروني

١٠ لا تستوحشوا في طريق الهدى

نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، الخطبة ٢٠١، بحسب ترقيم النسخة الإلكترونية المحال إليها: «أيها الناس، لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله». وقد يختلف ترقيم الخطبة بين الطبعات؛ لذا يُستدل عليها أيضًا بمطلعها.

المصدر الإلكتروني

١١ حدود الاستدلال بمطالب الخوارق

الإسراء: ٩٠-٩٣. يُقرأ المقطع مع سياقه الذي يبين المطالب المقترحة ورد الرسول عليها؛ فلا يحمل على نفي أصل المعجزات، ولا على حصر المعرفة في العقل مع إغفال الخبر الصحيح والتجربة والوحي.

١٢ العذاب الأدنى وحدود الاستيحاء

الطبري، جامع البيان، تفسير الإسراء: ١٠٠؛ يفسر «خشية الإنفاق» بخشية الفقر والفاقة. أما إدراج بعض ضيق الإعراض والتعلق في العذاب الأدنى فجمع تفسيري مقترح في المشروع، في ضوء السجدة: ٢١، وطه: ١٢٣-١٢٧، والمعارج: ١٩-٣٥. يراجع «المذكّرة المفهومية: العذاب الأدنى والهلل والجزع»، النسخة المدققة ٣،١، والكتب المرجعية المحدثة. لا يعني ذلك أن كل ألم عقوبة، أو أن المرض النفسي دليل ذنب، أو أن زوال الألم معيار التوبة.

المصدر الإلكتروني

١٣ رواية فضل القرآن

جامع الترمذي، كتاب ثواب القرآن عن رسول الله (ص)، الحديث ٢٩٠٦، من حديث علي. اللفظ الوارد: «ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله». ووصف الترمذي الحديث بالغرابة، وذكر جهالة إسناده والكلام في الحارث. ويتعلق هذا التضعيف بالطريق المحال إليه، ولا يدعى استيعاب جميع طرق المضمون.

المصدر الإلكتروني

١٤ أصل قوة القلب

الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ضمن الحكم المنسوبة إلى الإمام علي (ع)، قسم التوكل في الترتيب الموضوعي للنسخة الإلكترونية المحال إليها، الحكمة الرابعة: «أصل قوة القلب التوكل على الله».

المصدر الإلكتروني

١٥ اقتباس الكشاف

الزخشي، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تفسير قصة صاحب الجنتين عند الكهف: ٣٥-٣٦. نُقلت عبارته عن السنة الأحوال؛ وهي ملاحظة وعظية في سياق التفسير، وليست قياساً إحصائياً لأحوال الأغنياء ولا مسوغاً لتعيين سرائرهم.

المصدر الإلكتروني

١٦ دعاء مكارم الأخلاق

الصحيحة السجادية، الدعاء العشرون: في مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال، مقطع «ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها». المقصود هنا مقاومة الكبر، لا إهدار قيمة النفس أو حقوقها.

المصدر الإلكتروني

١٧ ميثاق الفطرة والصدق الذاتي

يراجع «نظرية النشأة الإسلامية» ومعجمه المرجعي، و«الذات الخالدة»، ومذكرة «ميثاق الفطرة والاستقامة ومسار الصدق الذاتي» بصيغتها المدققة. الفطرة في المشروع ليست كل ميل شخصي. والصدق الذاتي هو تصادق جهات النفس الواحدة تحت الحق والفطرة، لا اتباع الشعور بلا تحييص، والحاسبة والتوبة والإصلاح وسائل لترسيخه.

١٨ خصوصية أفعال العبد الصالح

القرآن، الكهف: ٧٤ و٨٢؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، عند الكهف: ٨٢، ولا سيما تفسير «وما فعلته عن أمري» وعرض القول في نيوته. يُحفظ الفرق بين هذا الخبر الخاص وبين أفعال البشر العادية؛ فلا يستدل به على جواز الاعتداء أو تجاوز الحقوق بدعوى معرفة باطنية.

المصدر الإلكتروني

١٩ الرواية في ذي القرنين

الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥هـ، باب «ما روي من حديث ذي القرنين»، الرواية الثالثة، ص ٣٩٣-٣٩٤ بحسب الترقيم المطبوع. وفيها نفي نبوته ووصفه بأنه عبد أحب الله فأحبه الله. يُثبت هنا ورود الرواية دون حسم الخلاف في شخصيته ومقامه أو تصحيح سندها استقلالاً. ولا يُنقل هذا الوصف إلى العبد الصالح في قصة موسى؛ فذلك بحث آخر.

المصدر الإلكتروني

٢٠ ما أعد الله لعباده الصالحين

صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، الحديث ٣٢٤٤؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، الحديث ٢٨٢٤، عن أبي هريرة. وثبت آيات النعيم المجاورة للحديث في المتن. أما كيفية تجدد النعيم وتفاصيل أحوال أهل الجنة، فلا تثبت دعوى مخصوصة فيها بمجرد عموم الوعد بالمزيد.

صحيح البخاري - المصدر الإلكتروني

صحيح مسلم - المصدر الإلكتروني

٢١ دعاء أبي حمزة الثمالي

دعاء أبي حمزة الثمالي المروي عن الإمام علي بن الحسين (ع)، في مقطع «وأنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك». أثبت موضع النص في الدعاء؛ ولا يستلزم الاستشهاد به تقرير تساوي الناس في الاستعدادات أو بلوغهم مقام الرسول وخصائصه.

المصدر الإلكتروني

٢٢ العلم وأثره في العبادة

ابن إدريس الحلي، مستطرفات السرائر، ضمن الوصية المنسوبة إلى النبي (ص) لعلي (ع)، في الصفحة الموسومة ٦٢٠ داخل النص الإلكتروني المحال إليه: «با علي، ركعتان يصليهما العالم أفضل من ألف ركعة يصلها العابد». يُورد للاستئناس بأثر العلم في العبادة، دون تصحيح مستقل لإسناد الوصية، ودون بناء مفاضلة آلية بين الأشخاص.

المصدر الإلكتروني



من أين تتابع القراءة؟

لا يفرض المشروع ترتيباً واحداً للقراءة. إن بدأت بهذا الكتاب من باب التدبر والمعايشة، فانتقل إلى «المنظومة الفكرية الإسلامية» لفهم الأرض الرؤية، وإلى «نظرية النشأة الإسلامية» للرجوع إلى التعريفات والقوانين والنماذج الحاكمة. ويضم الكتاب المرجعي خريطة قراءة موجزة في صدره، ومعجماً للمصطلحات يتبعه دليل القارئ التفصيلي في ملحقاته؛ فارجع إلى المعجم لضبط المصطلحات، وإلى الدليل لاختيار مسار القراءة. وستجد في «الذات الخالدة» توسعاً في صورة الإنسان، وفي «لا حدود» تطبيقاً ونقداً مقارناً، وفي «رحلة كادح» تجسيداً سردياً.

خريطة سريعة

١ «المنظومة الفكرية الإسلامية» — الأساس الرؤيةي وموضع الشرح الكوني.

٢ «نظرية النشأة الإسلامية» — المتن المرجعي الضابط، ويضم دليل القارئ والمعجم المرجعي.

٣ «الذات الخالدة» — بيت النموذج الإنساني ومساره.

٤ «لا حدود» — المنفذ الشعبي للقوانين وبيت النقد المقارن.

٥ «عِش سعيداً» — منفذ التدبر والمعايشة.

٦ «رحلة كادح» — منفذ التجسيد السري.

ويأتي دليل القارئ والمعجم المرجعي داخل كتاب «نظرية النشأة الإسلامية» نفسه.

رسالة المؤلف إلى القارئ

بدأت هذه الكتب من سؤال ظل يرافقتني: كيف يفهم الإنسان نفسه، ويتحرك في حياته، ويسير إلى الله من غير أن يفصل عن واقعه وعمله ومسؤوليته؟ حاولت في كل كتاب أن أقرب من جانب من هذا السؤال، مرةً بالتأصيل، ومرةً بالشرح، ومرةً بالتطبيق أو التدبر أو الحكاية.

لا أقدم هذه الأعمال بوصفها أجوبة مغلقة، بل اجتهداً بشرياً داخل الرؤية الإسلامية، يطلب الوضوح ويقبل المراجعة. وأرجو أن تكون الفكرة هي البتلة، وأن يبقى الدليل خادماً لها، واللغة طريقاً يصل بها إلى عقل القارئ وقلبه وعمله.

إتاحة المعرفة

يُتيح المؤلف النسخة الإلكترونية الرسمية من هذا الكتاب مجاناً للقراءة والتنزيل عبر مكتبته الإلكترونية: <https://abbasalhumaid.com/library/>، إيماناً بأن المعرفة تؤدي رسالتها حين تصل إلى من يحتاج إليها. وتشمل هذه السياسة جميع كتب المؤلف المعروضة في الموقع والموسومة بأنها متاحة للتنزيل المجاني.

ويُسمح بتداول الرابط الرسمي أو النسخة الكاملة غير المعدلة لأغراض غير تجارية، مع إثبات اسم المؤلف والمصدر. ولا يجوز إعادة تحرير الكتاب أو اختصاره أو ترجمته أو دجه في إصدار آخر أو استعماله لأغراض تجارية من دون إذن مكتوب.

تُوفر أحدث نسخة من الكتاب، وسجل التصويبات والتحديثات، عبر المكتبة الرسمية. وإتاحة النسخة الإلكترونية مجاناً لا تعني بالضرورة مجانية النسخة الورقية، التي قد تباع لتغطية تكاليف الطباعة والتوزيع.

التصويبات والمراجعة

هذا الكتاب جزء من مشروع فكري قابل للمراجعة والتطوير. تُنشر التصويبات المؤثرة، وبيانات أحدث طبعة أو نسخة رقمية، في المكتبة الرسمية على

• <https://abbasalhumaid.com/library/>

ويمكن إرسال الملاحظات الموثقة، مع تحديد عنوان الكتاب والطبعة والصفحة والعبارة ووجه الملاحظة، عبر نموذج التواصل في الموقع. ويشكر أصحاب الملاحظات العلمية والتحريرية التي تسهم في زيادة الدقة والوضوح.



عن المؤلف

عباس آل حميد كاتب وباحث ومستشار استراتيجي عُماني. لازمته منذ سنواته الأولى أسئلة الإنسان والغاية: كيف يتكوّن الإنسان؟ وكيف تتحول المعرفة والإيمان والعمل إلى حركة واعية نحو الله؟ وكيف يجمع الإنسان بين عمق المعنى ودقة الفعل؟ ومن هذه الأسئلة المتصلة نشأ مساره في القراءة والكتابة والعمل.

وفي عام ٢٠٢٣، تشرف بالثقة السامية لحضرة صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق المعظم — حفظه الله ورعاه — إذ صدر مرسوم سلطاني بتعيينه عضواً في مجلس الدولة بسلطنة عُمان للفترة ٢٠٢٣-٢٠٢٧. ويمثل هذا التكليف الوطني الرفيع محطة بارزة في مسيرته، يشارك من خلالها في أعمال المجلس، ولا سيما عبر اللجنة الاقتصادية والمالية، مساهماً في دراسة القضايا والسياسات العامة، وتقديم الرؤى الاستراتيجية الداعمة لمسيرة التنمية الوطنية وتعزيز كفاءة الأداء الاقتصادي والمؤسسي.

درس العلوم الدينية والفلسفة في حلقاتها التقليدية، ثم مضى في مسار مهني امتد قرابة ثلاثة عقود في المحاسبة والتدقيق والاستشارات والاستراتيجية والإدارة والتحول المؤسسي. وأمضى أكثر من عقدين في مواقع الشراكة والقيادة داخل بيوت خبرة دولية، وقاد مشروعات في الاستراتيجية والتحول وإعادة الهيكلة والحوكمة في سلطنة عُمان وخارجها.

وإلى جانب دوره الوطني، يقود مجموعة مريت وأكاديمية مريت من سلطنة عُمان، بوصفهما منصبتين مهنتين وتعليميتين ينقل من خلالهما خلاصة خبرته إلى القيادات

والأفراد والمؤسسات، ويسهم في تطوير القدرات الاستراتيجية والإدارية والمهنية. ويحمل عددًا من الاعتمادات المهنية الدولية في المحاسبة والاستشارات والإدارة، من بينها: CPA، CFE، CMC، CMgr.

غير أن هذه الخبرة المهنية لم تكن منفصلة عن انشغاله الفكري؛ فقد رأى أن الروح والاستراتيجية، على ما بينهما ظاهراً من تباعد، تلتقيان في سؤال واحد: كيف تتحول الغاية إلى طريق، والرؤية إلى فعل، والإنسان من حال إلى حال؟ ومن هنا سعى في كتاباته إلى وصل التأمل بالعمل، والفكرة بأثرها، والرؤية بحركة الإنسان في الحياة. أسس «مشروع نظرية النشأة الإسلامية» بوصفه مشروعاً فكرياً تفسيرياً داخل الرؤية الإسلامية، يدرس تكون الإنسان، وحرركته الوجودية، ونموه، وسلوكه، ورسالته، ويصل بين التأصيل الفكري والخبرة الإنسانية والتطبيق العملي. وتتنوع مؤلفاته بين الرؤية الإسلامية، والإنسان والنمو، والتدبر القرآني، والسرد الأدبي، والإدارة والاستراتيجية.

يكتب عباس آل حميد من موقع الباحث المجتهد، مع التمييز بين النص المقدس والفهم البشري، وبين ما هو أصل ديني وما هو بناء تفسيري قابل للنظر والمراجعة. وتقوم كتابته على وضوح الفكرة، وصدق نسبة القول، واحترام عقل القارئ، والانفتاح على النقد والتصويب.

ويتيح كتبه الإلكترونية المعروضة في مكتبته الرقمية مجاًناً، رغبةً في وصول المعرفة واتساع الحوار حولها. وما يرجوه من القارئ ليس الموافقة السريعة، بل القراءة الصادقة، واختبار الأفكار، وإرسال ما يراه من تصويب؛ فالفكرة هي البطلة، والدليل خادم لها، واللغة طريق.

كتب مشروع نظرية النشأة الإسلامية

الكتب الستة

١ «المنظومة الفكرية الإسلامية» — الأساس الرؤيوي وموضع الشرح الكوني.

٢ «نظرية النشأة الإسلامية» — المتن المرجعي الضابط، ويضم دليل القارئ والمعجم المرجعي.

٣ «الذات الخالدة» — بيت النموذج الإنساني ومساره.

٤ «لا حدود» — المنفذ الشعبي للقوانين وبيت النقد المقارن.

٥ «عش سعيداً» — منفذ التدبر والمعايشة.

٦ «رحلة كادح» — منفذ التجسيد السردى.

دليل القارئ والمعجم المرجعي

ويتضمن «نظرية النشأة الإسلامية» دليل القارئ إلى المشروع ومعجمه المرجعي؛ فيعرض الأول الخريطة ومسارات القراءة، ويضبط الثاني المصطلحات والإحالات. وهما جزءان من الكتاب المرجعي نفسه، وليساً مجلداً مستقلاً ولا كتاباً سابغاً.

المكتبة الإلكترونية: <https://abbasalhumaid.com/library/>

من مشروع نظرية النشأة الإسلامية

هذا الكتاب يقدم لك إرشادات عملية
وتأملات عميقة تساعدك على عيش حياة
أكثر سكينَةً، ووعيًا، وأملًا. ينطلق من مبادئ
النظرية ليترجمها إلى خطوات واقعية تغذي
القلب، وتنير البصيرة، وتعيد ترتيب الأولويات،
لتعيش يومك معنًى، ووجهتك أقرب.
